الفصل الثالث

أسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات

١ ـ مواصلة التعليم والانشغال بالدراسة

٢ ـ القبح والدمامة

٣ـ العاهات والإعاقات

٤ ـ الزهد في الزواج

٥ ـ مقارفة الفاحشة والفساد الخلقي

٦ ـ الغلو في اختيار شريك الحياة

٧ ـ الوفاء لزوج أو عشيق

٨ ـ وجود بنات بالبيت لم يتزوجن

٩ ـ وجود أطفال

١٠ ـ الطلاق

١١ ـ كثرة اللقاءات بين الخطيبين

١٢ ـ جواز سن الزواج والغفلة عن العنوسة

١٣ ـ العقم

obeikandl.com

الفصل الثالث

أسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات

مما ينبغي التنبيه عليه وأنه لن يفوت على فطنة القارئ الكريم أن بعض الأسباب التي سيرد ذكرها أسباب مباشرة من أسباب العنوسة، وأخرى ليست أسبابا مباشرة لها كما أنه سيرد بعض الأسباب التي تكون ضحاياها نساء غير متزوجات من مطلقات وأرامل ومعلقات ومغيبات ورافضات للزواج عازفات عنه لسبب أو لآخر وهن في حقيقة الأمر من غير العوانس لأن العانس هي التي لم يسبق لها الزواج من قبل ولم تذق عسيلته وترغب فيه ولكني ألحقت هؤلاء النسوة بالعوانس لأنهن حاليا ليس لهن أزواج وهن ينتظرن في قطار المنتظرات للزواج أو عودة الأزواج والمجتمع لا يصنفهن من العوانس وإن كان النسوة اللاتي لم يتزوجن من قبل هن العوانس البائسات الحقيقيات الحرِيات بكل عطف المستحقات لكل عون ومساعدة فعلى الجميع استشعار مشاكلهن والمساهمة في حل معضلاتهن وأسباب العنوسة المشتركة بين الفتيان والفتيات عدة منها:

١ ـ مواصلة التعليم والانشغال بالدراسة:

أولا: ـ مواصلة التعليم عند الفتاة:

بعض البنات لهن هوس بالتعليم وتعلق شديد به ـ ويكون ذلك غالبا عند غياب المرشد العاقل الأمين الذي بإمكانه أن يوضح للواحدة منهن أنها يمكن لها أن تتزوج وتواصل تعليمها بعد ذلك ـ فتنسى البنت أو تتناسى في خضم دراستها الجامعية أنها امرأة تحتاج إلى زوج تعيش في كنفه وتستظل تحت ظله وتحتمي بحماه ورغبتها في أطفال تنعم بمداعبتهم والفيض عليهم من حنانها، وتظن أنها لم تزل طالبة، مما يوحي لها ويوعز بصغرها، فتلبس ملابس الطالبات، وتحمل حقائبهن، رغم أن طالبة الصف الخامس والسادس في المرحلة الابتدائية جديرة أن تكون في سن الزواج والمقدرة على الإنجاب،

ويكون هم البنت وشغلها الشاغل الحصول على الشهادة الجامعية لظنها أن في حصولها عليها السعادة الكاملة، لأن للناس أراء في السعادة أجملها لنا الشيخ محمد صادق عرنوس رحمه الله تعالى في قوله:

أعيى الورى فهم السعادة ... كل يحملها مراده
قالوا بأن وجودها في المال ... مضطرد الزيادة
والبعض يحسبها نياشين ... تعلق أو قلادة
ويجيبك التلميذ لا ... إن السعادة في الشهادة
يا ويحهم جهلوا أمرها ... إن الله عرفها عبادة
لغز بسيط حله أن ... تقوى القلوب هي السعادة

وإن حدث أن تقدم للفتاة في هذه الفترة ــ فترة الدراسة ــ خاطب وطالب ليدها فإنها سترفض بشدة متعللة بضرورة إكمال هذه الفترة ونيل درجة الليسانس أو البكالوريا لأن المرأة لابد لها من شهادة تحفظ بها حقها، وتؤمن مستقبلها خوفا من توقع حدوث أشياء مع زوجها، فإن حدث أن طلقت فشهادتها هذه تحفظ لها المطالبة بحقوقها من زوجها وحق العمل وتؤمنها من نوائب الدهر وغوائل الزمان وتقلباته، ومع ما في هذا الأمر من توقع السوء قبل حدوثه وسوء الظن بالله عز وجل فإنه يعطي طابع الندية من المرأة لزوج لم تعرفه ولم تعاشره فهو بمثابة إعداد الشفار للذبيحة قبل ذبحها وتجهيزها ناسية هذه البنت أو متناسية أن أمها وجدتها وخالتها أفضل منها وأنهن نجحن في حياتهن الزوجية رغم قلة تعليمهن، بدليل أنهن أنجبن مثلها، فيا أختاه إن مدرسة الحياة الزوجية لها علم خاص لا يتلقى غالبا في المدارس، بل يؤخذ عن تجارب السابقين من الأزواج والزوجات الناجحين وغيرهم من المخفقين في تجاربهم الزوجية.

وبعد حصول البنت على الشهادة الجامعية تتوقع أن تكون سوقها قائمة وأن يكون طلب الأزواج عليها أكثر تزايدا من حال كونها طالبة، وأن الخطاب سيتهافتون عليها تهافت الذباب والحشرات على النار، فعليها أن تذب من شاءت منهم وأن توافق على من تشاء، وأنهم سيقتتلون للفوز والظفر والاقتران بها فما عليها إلا أن تنتقي وأن تختار من المتيمين بها، فهي الآن قد صارت لها شهادة عليا في الدنيا تساعد في أن يكون لها دخل يسهم في تكوين البيت ومساعدته وأن يكون لها دور قيادي ريادي فيه وتنسى هذه البنت أن الليل والنهار قد عملا عملهما فيها، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن غدا من اليوم قريب، ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر.[1] ونزيد من عندنا: وما أسرع الشهور في السنوات، وما أسرع ما تدني السنوات من الشيخوخة والممات.

ولتعلم البنت إن المتقدمين من الأزواج كما يرغبون في الجمال والعلم فكذلك يرغبون في صغر السن ويولونها عناية خاصة لأن الزواج استثمار بشري فليستثمر المرء في فتاة غضة طرية، تسمع كلامه وتطيعه وتمتعه ولا يخاطر باستثماره في فتاة ترى نفسها أنها ليست دون بعلها في قليل وأن الحياة الزوجية اتفاق بين طرفين متكافئين، مع أنه ليس بينها وبين سن اليأس سوى القليل كما علل أحدهم رفضه لفتاة كما سنرى في هذا الكتاب.[2]

---

[1] الإدارة في التراث الإسلامي مع حكم وأمثال للمسئولين ورجال الأعمال، الدكتور: محمد بن عبد الله البرعي، والدكتور: عدنان بن حمدي عابدين، مكتبة الخدمات الحديثة ، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص ٢٨٨

[2] انظر ص من هذا الكتاب.

ويرى الرجال أن الفتاة الغرة الساذجة هي من أجل الرغبات وأعظم الغايات وأن السلفع الجريئة من الفتيات هي من مبغوضات النساء عند الرجال، وأنهن قد أصبنهم بالصداع والزكام والغثيان في الجامعات والمكاتب.

ولتعلم المرأة إن المتقدمين يفكرون تفكيرا جادا في بنات المرحلة المتوسطة والثانوية لأسباب عدة، فعلى طالبة المرحلة المتوسطة والثانوية أن تفكر في الزواج وألا ترفض من يتقدم لطلب يدها متعللة بمواصلة إكمال مشوار تعلميها، فلتوافق على المتقدم ولتتزوجه إن كان مناسبا ويمكنها أن تتزوج وأن تواصل تعليمها بعد زواجها إن شاءت.

وليس المقصود أن تجلس البنت في البيت وتنتظر الأزواج، بل لتواصل تعليمها بعد مراعاة الجوانب الشرعية فيه من عدم اختلاط وتبرج والتزام بالحجاب كما ينبغي أن تكون المواد المتعلمة ملائمة لطبيعتها وتكوينها وحاجة المسلمين إليها، ولكن المقصود، عدم رفضها للمتقدمين بحجة الدراسة فلتوافق على الزوج المتقدم ولتواصل دراستها بعد ذلك إن أرادت حتى لا تندم ولات حين مندم.

وينبغي للمرأة أن تعلم أن الله عز وجل خلقها لعبادته؟ وفطرها على الزواج والزوج هو المسئول عن الإنفاق عليها فالمرأة ابتداء مسئول عن الإنفاق عليها أبوها ثم وليها من أخ ونحوه ثم زوج فعليها أن تتقي الله في نفسها بعدم تسببها في شقاء نفسها وتعاستها برفضها للمتقدمين من الأزواج كما عليها اختيار العلم المتعلم ومراعاة موافقته للشريعة فهي أم ومربية ثم طالبة إن استطاعت ذلك بعد تحقيق الأول.

ثانيا ـ الانشغال بالدارسة عند الفتى:

كثير من الدارسين بعد انتهائهم من المرحلة الجامعية لا يفكرون في الزواج، وإذا تكلم أحد الناس مع أحدهم عن هذا الأمر فإنه يستبعد الإقدام عليه حاليا لأنه يريد أن يبحث عن وظيفة كما أنه يريد أن يواصل دراساته العليا ويذهب ويسجل لمرحلة

الماجستير في إحدى الجامعات وبما أن نظام الدارسات العليا يختلف عن نظام الدارسة الجامعية التي يبدأ العام الدراسي فيها في وقت محدد وينتهي في آخر معين ويتخرج الطالب في مدة معلومة فالدراسات العليا خلاف ذلك فبعد الانتهاء من الدورات الدراسية في مرحلة الماجستير يكون التفرغ لكتابة البحث ـــ هذه إن كانت الجامعة تسير على نظام الدورات ـــ وفترة كتابة البحث فيها مراحل دنيا تكون سنتين وفيها فترة سماح قد تمتد إلى خمس سنوات وإذا انتهت الفترة المحددة فيمكن للطالب أن يسترحم فيطلب فترة تمديد فيعطى فرصة سنة أو سنتين فينتهي الطالب من الماجستير في سنوات قد تطول وقد تقصر حسب طاقته واجتهاده ورغبته والسنون تعمل عملها فيه وهو لا يشعر ويخط رأسه الشيب وبعد الانتهاء من الماجستير قد يفكر في التسجيل لمرحلة الدكتوراه وزمن الدكتوراه أطول من الماجستير ويكاد يكون ضعفها إن لم يزد على ذلك ، ويحتج هذا الطالب أو المتهرب عن الزواج بقوله : إن الزواج سيشغلني عن دراستي أو قل عني بالأحرى أني قد تزوجت الدراسة وكفى بها زوجة مطيعة.

وبعد الانتهاء من الدكتوراه يكون قد تجاوز سن الزواج المتعارف عليها في المجتمع فيكون من العسير عليه جدا أن يتزوج.

٢ ـ القبح والدمامة:

أولا: القبح والدمامة عند الفتيان :

أعطى الله نبيه يوسف عليه السلام نصف الحسن وبقية الناس مشتركون في النصف الباقي: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ شَطْرَ الْحُسْنِ[1]

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم ٢٣٤

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أجمل الناس: فعَنْ الْبَرَاءِ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ[١] مُتَرَجِّلًا لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ.[٢]

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ.[٣]

واشتهر عدد من الصحابة والتابعين والسلف الصالح بالجمال الباهر، ولنقتصر على نموذج واحد من النماذج الكثيرة وهو الصحابي، دحية بن خليفة الكلبي، الذي كان يأتي جبريل عليه السلام على صورته، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ قَالَ وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ.[٤]

---

[١] قال السندي : قوله (مترجلا) الترجل تسريح الشعر وتنظيفه بالأمشاط (في حلة حمراء) قال ابن القيم وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وإنما الحلة الحمراء في بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط وإلا فالأحمر البحت ينهي عنه أشد النهي وكراهية شديدة فكيف يظن به أنه لبس الثاني صلى الله عليه وسلم وإنما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء .(شرح سنن ابن ماجة لأبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، تحقيق الشيخ: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، ج ٤ ص ١٥٩)

[٢] سنن النسائي، كتاب الزينة، باب: لبس الحلل، حديث رقم : ٥٢١٩/ سنن ابن ماجة، كتاب: اللباس، باب: لبس الأحمر للرجال، حديث رقم : ٣٥٨٩

[٣] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: صفة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٢٨٥

[٤] مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عمر ،حديث رقم : ٥٥٩٢

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: دحية بن خليفة الكلبي كان يضرب بـه المثـل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته. فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي وكان دحية رجلا جميلا، وعن بن عباس كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر[١] إلا خرجت تنظر إليه.[٢]

والجمال من الأشياء التي تحبب النساء في الرجال، وتجعل سوق الرجال قائمة عندهن، ولا تخلو مجالس النساء من التطرق لذكر أجمل الرجال بالبلدة: فعن عبد الله بن بريدة: أن عمر رضوان الله عليه خرج يعس المدينة ، فإذا هو بنسوة يتحدثن، فإذا هن يقلن: أي أهل المدينة أصبح؟ فقالت امرأة: يقال أبو ذئب، ، فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو من بني سليم، فأرسل إليه فإذا هو من أصبح الناس فلما نظر عمر إليه: قال: أنت والله دينهن، أنت والله دينهن، مرتين أو ثلاثا لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها. فقال: إن كنت لابد مسيري فسيرني حيث سيرت ابن عمي، فأمر له بما يصلح وسيره إلى البصرة. [٣]

حتى أن بعض النساء تؤثر نظرة من زيد أو من عمرو من المشهورين بالجمال بما تملك من حاجياتها التي على جسمها، قالت امرأة في سعيد بن الأسود وكان في زمن عثمان:

---

[١] قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : وفي حديث ابن عبَّاس كان إذا قدم دِحْيةُ الكَلْبِيّ لم تبْقَ مُعْصرٌ إلاّ خَرَجَتْ تنْظُر إليه من حُسْنِه المُعْصِرُ: الجاريةُ أوّلَ ما تَحيض لانْعصَار رَحمها، وإنما خصَّ المُعْصِر بالذّكر للمُبَالَغة في خُرُوج غيرها من النِّساء.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عصر}]

[٢] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ٢٣٩٢

[٣] مناقب عمر لابن الجوزي دار مكتبة الهلال بيروت، دراسة وشرح وتقديم: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص ١١٠

ألا ليتني أشري[١] وشاحي ودملجي بنظرة عين من سعيد بن أسود[٢]

والقبح والدمامة من الأشياء التي يسب بها أصحابها، قال حماد عجرد يهجو بشار بن برد الأعمى:

ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد[٣]

وكان بشار يتوجع لهذا الهجاء ويقول : يراني فيصفني ولا أراه. والسواد من أعظم أسباب القبح، وقد كان يعاني منه عدة أشخاص منهم أَغربةُ العَرَبِ وهم : سُودانُهم، شُبِّهوا بالأَغْرِبَةِ في لَوْنِهم. والأَغْرِبَةُ في الجاهلية: عَنْترةُ،[٤] وخُفافُ ابن نَدْبَةَ[٥] السُّلَمِيُّ، وأبو عُمَيرِ بنُ الحُبابِ السُّلَمِيُّ ، وسُلَيْكُ بنُ السُّلَكَةِ، وهشامُ بنُ عُقْبة بنِ أَبي مُعَيْط، إلا أَنَّ هشاماً هذا مُخَضْرَمٌ، قد وَلِيَ في الإسلام. قال ابن الأَعرابي: وأَظُنُّهُ قد وَلِيَ الصائفَةَ وبعضَ الكُوَر؛ ومن الإسلاميين: عبدُ اللّه بنُ خازم، وعُمَيْرُ بنُ أَبي عُمَيرِ بنِ الحُبابِ السُّلَمِيُّ، وهمّامُ بنُ مُطَرِّفٍ التَّغْلَبِيّ، ومُنْتَشِرُ بنُ وَهْبٍ الباهليُّ، ومَطَرُ ابن

---

[١] أشري : أبيع

[٢] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٤٩

[٣] الشعر والشعراء لابن قتيبة: ج ١ ص ٦٤٥

[٤] قال ابن قتيبة: كان عنترة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة، حتى سابه رجل من بني عبس، فذكر سواد أمه وإخوته ، وعيره بذلك. [الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ١٧٢]

[٥] قال خفاف بن ندبة وهو ابن عم الخنساء:

كلانا يسوده قومه على ذلك النسب المظلم

يعني السودان. [الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥٨]

أَوْفى المازِنيّ، وتأبَّطَ شَرّاً، والشَّنْفَرَى. [١] وثابت بن قيس بن شماس، ونصيب الذي كان يكنى أبا الحجناء، وفيه يقول كثير:

رأيت أبا الحجناء في الناس جائزا ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده وإن كان مظلوما له وجه ظالم[٢]

وأوضح الحبشي سحيم عبد بني الحسحاس أن سبب عزوف وازورار الفتيات عنه هو سواده لونه وقبح وجهه فقال:

فلو كنت وردا لونه لعشقنني ولكن ربي شاننني بسواديا[٣]

بل كان يخشى بعض الناس أن يؤثر سوادهم يوم القيامة في مكانتهم ومنزلتهم فيها[٤] والقبح والدمامة في الرجال من الأشياء التي تجعل النساء بصفة خاصة يسخرن منها ومن وجودها فيهم، قال سحيم:

أتيت نساء الحارثيين غدوة بوجه براه الله غير جميل

فشبهنني كلبا ولست بفوقه ولا دونه وإن كان غير قليل[١]

---

[١] لسان العرب لابن منظور : مادة غرب

[٢] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٣٢٣

[٣] انظر ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، ص ٢٤

[٤] عن قتادة عن أنس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيمنع سوادي ودمامتي من دخول الجنة قال لا الحديث وفيه إنه قال وإني لفي حسب من قومي بني سليم ثم من ذكوان معروف الآباء ولكن غلب علي سواد أخوالي وفيه إنه زوجه بنت عمر أو عمرو بن وهب الثقفي فذكر قصة شبيهة بقصة جليبيب ومحمد بن عمر ذكر الحاكم أنه روى حديثا موضوعا يعني هذا. [الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ٣٢١٩]

كما أن القبح والدمامة من الأشياء المؤثرة في موافقة النساء على زواجهن من الرجال قال أبو العيناء: خطبت امرأة فاستقبحتني ، فكتبت إليها:

فإن تنفري من قبح وجهي فإنني أريب أديب لا غبي ولا فدم

فأجابتني ليس لديوان الرسائل أريدك.[٢]

وعلى الأب وولي أمر الفتاة وضع هذا الأمر في الحسبان، من غير أن يكون فتحا لباب عنوسة لابنته بجعلها تضع معايير قياسية في بعلها المرتقب بل المقصود عدم إجبارها على بعل غاية في القبح والدمامة بحجة أن الرجل لا يعيبه شيء، فعن عمر قال: لا تكرهوا فتياتكم على الرجل الدميم – وفي لفظ: القبيح – فإنهن يحببن مثل ما تحبون.[٣]

وعن عمر قال: يعمد أحدكم إلى بنته فيزوجها القبيح، إنهن يحببن مثل – ما تحبون.[٤]

وإن كانت المرأة في هذا الزمن بالذات لا ترفض متقدما له وتعيبه بقبحه ودمامته غالبا، وذلك لأسباب:

ـ أن تكون لهذا المتقدم قرابة بينه وبين المتقدم لها ، فتوافق عليه ابتداء أو يجبرها أهلها على الموافقة عليه، كما مر بنا قول الشاعر:

ألا رب حوراء المحاجر طفلة تساق إلى وغد من القوم تنبال

---

(١) ديوان سحيم ص٦٩ / الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٣٢١

(٢) نهاية الأرب للنويري ج٢ص٢٢

(٣)كنز العمال، حديث رقم: ٤٥٩٦٤

(٤)كنز العمال، حديث رقم: ٤٥٩٦٣

يقولون جـــرته إليهـــا قرابـــــة فويح العذارى من بني العم والخال[1]

ـــ لهذا الطوفان الجارف والتيار العارم من العنوسة ولخوفها إن ردت هذا المتقدم أن لا تجد غيره، فتوافق عليه لأجل ذلك.

ـــ أن يكون قد حدث مع هذا القبيح ما أجبر الفتاة وأهلها على تزويجـــه منـــها درء للفضيحة، وسترا للأمر، ويتضح هذا جليا في هذه القصة: قال الأصمعي: أخـــبرني رجل من بين أسد أنه خرج في طلب إبل قد ضلت، فبينا هو يسير في بلاء وتعب، وقـــد أمسى في عشية باردة إذ رفعت له أعلام، قال: فقصدت بيتا منها، فإذا أنا بامرأة جميلـــة ذات جزالة، فسلمت فردت علي السلام، ثم قالـــت: ادخـــل، فـــدخلت فبســـطت لي ومهدت، وإذا في حجرها صبي أطيب ما يكون من الولدان، فبينا هي تقبله إذ أقبل رجل أمام الإبل ضئيل الجسم كأنه بعرة دمامة واحتقارا، فلما بصر به الصبي هش إليه وعدا في تلقائه، فاحتمله وجعل يقبله ويفديه، فقلت في نفسي: أظنه عبدا لها، فجاءني ووقف بباب الخيمة، وسلم فرددت عليه السلام، فقال: من ضيفكم هذا؟ فأخبرته فجلس إلى جانبـــها وجعل يداعبها، فطفقت أنظر إليها تارة وإليه أخرى، وأتعجب من اختلافهمـــا، كأنهـــا الشمس حسنا، وكأنه القرد قبحا، ففطن لنظري، وقال: يا أخا بني أسد أتـــرى عجبـــا؟ تقول أحسن الناس وجها وأقبح الناس رحها، فليت شعري كيف جمع بينـــهما، أخـــبرك كيف كان ذلك؟ قلت: ما أحوجني إلى ذلك. قال: كنت سابع إخوتي كلهم أصحاب إبل وخيل، وكنت من بينهم مطروحا، لكل عمل دني للعبودية تارة ولرعي الإبل أخرى، فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب إذ ضل لنا بعير، فتوجه إخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه، فأتوا أبي وقالوا: ابعث فلانا ينشد لنا هذا البعير، فدعاني أبي وقال: اخرج فانشـــد هـــذا

---

[1] تحفة العروس ونزهة النفوس ص ١٣٥

البعير، فقلت: والله ما أنصفتني ولا بنوك، أما إذا الإبل درت ألبانها وطاب ركوبها فأنتم جماعة أهل البيت أربابها، وإذا ندّت ضلالها فأنا باغيها، فقال: قم يا لكع[١] فإني أراه آخر يومك، فغدوت مقهورا خلق الثياب حتى أتيت بلادا لا أنيس بها، فطفقت يومي ذلك أجول القفر، فلما أمسيت رفعت لي أبيات، فقصدت أعظم بيت منها، فإذا امرأة جميلة، مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتني بالتحية، وقالت: انزل عن الفرس وأرح نفسك، فأتتني بعشاء فتعشيت، وأقبلت هذه تسخر مني، وتقول: ما رأيت كالعشية أطيب ريحا منك، ولا أنظف ثوبا، ولا أجمل وجها، فقلت: يا هذه دعيني وما أنا فيه، فإنني في شغل شاغل، فأبت عليّ، وقالت: هل لك أن تلج عليّ السجف إذا نام الناس؟ فأغراني والله الشيطان، فلما شبعت من القرى وجاء أبوها وإخوتها فضجعوا أمام الخيمة، قمت ووكزته برجلي، قالت: ومن أنت؟ قلت: الضيف، قالت: لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله، فعلمت أني ليس في شيء من أمرها، فوليت راجعا، فواثبني كلب لهم كأنه السبع، لا يطاق، فأراد أكلي فأنشب أنيابه في مدرعة صوف كانت علي، وجعل يمزقني فردني القهقرى، وتعذر عليّ الخلاص، فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فأحسن الله إليّ أن لا ماء فيها، فلما سمعت المرأة الواغية[٢] أتت بحبل فأدلته وقالت: ارتق لعنك الله، فوالله لولا أن يقتص أثري غدا لوددت أنها قبرك، فاعتنقت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها تهور ما تحت قدميها، فإذا أنا وهي والكلب في قرار البئر، بئر أيما بئر، لا طيّ لها ولا مرقاة[٣] كأشد بلية بنا، الكلب ينبح من ناحية، وهي تدعو بالويل والثبور من ناحية، وأنا منقع قد برد

---

[١] لكع : لئيم

[٢] الواغية : الصياح

[٣] مرقاة : سلّم

جلدي على القتل من ناحية، فلما أصبحت أمها فقدتها، فلما لم ترها أتت أباها، فقالت: يا شيخ أتعلم أن ابنتك ليس بها أثر يحس؟ وكان أبوها عالما بالآثار تابعا لها، فلما وقف على شفير البئر ولىّ فقال: لولده: يا بنيّ أتعلمون أن أختكم وضيفكم وكلبكم في البئر، فبادروا كالسباع، فمن بين آخذ حجرا وآخذ سيفا أو عصا، وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبري وقبرها، فلما وقفوا على شفير البئر، قال أبوهم: إن قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه، وإن تركتموه افتضحتم، وقد رأيت أن أزوجه إياه، فوالله ما يقدح لها في نسب ولا في حسب، ثم قال لي: أفيك خير؟ فلما شممت روح الحياة، وثاب إليّ عقلي، قلت: وهل الخير كله إلا فيّ فهات احتكم، فقال: مائة بكرة وبكرة وجارية وعبد، فقلت: لك ذلك، وإن شئت فازدد. فأخرجت أولا، والكلب ثانيا، وأخرجت ثالثا، فأتيت أبي فقال: لا أفلحت أين البعير، قلت: أربع عليك أيها الشيخ، إنه كان من القصة كيت وكيت، قال: أفعل والله ولا أخذلك، فدعا بالإبل فعد منها مائة بكرة وبكرة وسقناها مع جارية وعبد، وأخذت منه هذه غرة نفسها، قال: هي والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها وربما قالت: لا أطاب الله خبرك.[1]

ولكن إن كان هذا الرجل المتقدم على درجة كبيرة من القبح والدمامة وأنه سيكون مما تعاب الفتاة وتعير به وتذم بسببه فإنها ستتوقف في الموافقة عليه بل سترفضه حتى ولو ظلت عانسا طوال حياتها.

وقد تسخر المرأة من طلب الرجل القبيح الاقتران بها كما حدث للفضل بن الربيع والفرج الرخجي، وكانا بمكة، وكان الفضل صبيحا ظريفا، وكان الفرج دميما

---

[1] المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٢٨٧ ــ ٢٨٩

قبيحا، فخرجا إلى الطواف ثم انصرفا إلى بعض طرقات مكة، وقعدا يتغديان، فبينا هما كذلك على طعامهما إذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهية حسنة شكلة، وعليها برقع فرفعته عن وجهها فإذا وجه كالدينار، وذراع كالجمار، فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معهما، قال الفضل: فأعجبني ما رأيت من جمالها وهيئتها، فقلت: هل لك من بعل؟ قالت: لا قلت: فهل في بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخَلق والخُلق؟ قالت: وأين هو؟ فأشرت إلى الفرج، فقالت: جوابك عند فراغنا، فلما أكلت قالت: أتقرأ شيئا من كتاب الله؟ قلت: نعم قالت: فتؤمن به؟ قلت: نعم قالت: فإن الله يقول ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [1]

ويستنكر المجتمع ويستقبح التصابي من كبار السن وادعاء الجمال من القبيحين، فيسخر ممن يفعل ذلك ويأمره بالاتئاد والتأني وأن يقيس شبره بفتره ، قال صفوان الأنصاري في تصابي بشار بن برد الأعمى:

تواثب أقمارا وأنت مشوه وأقرب خلق الله من نسب القرد[2]

ويحاول القبيح أن يبرر قبحه إن اعترف به بأن له تبريزا في نواح أخرى ومنفعة لا يحسنها غيره من الجميلين رغم ازدراء الناس له لقبحه، قال نضلة السلمي في يوم غول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة وبأس:

ألم تسل الفوارس يوم غول بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو حر وينفع أهله الرجل القبيح [1]

---

[1] المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٩٦، والآية ٣٨ من سورة النساء

[2] الفرق بين الفرق ص ٧١

وقال الخَنْجَر بن صخر الأسدي:

فإنْ لا تَكُ المِرآةُ أَبْدَتْ وَسامةً فقد أَبْدَتِ المِرآةُ جَبْهةَ ضَيْغَمِ[٢]

أو قد يكابر القبيح في قبحه وينفيه ملقيا ذلك إلى تحامل الناس عليه وسوء تقيمهم وعدم معرفتهم بمعايير الجمال، وأن كل الأشياء متحاملة عليه حتى المرآة التي ينظر فيها، فمن الطرف التي تحكى أن أحد الأعراب نظر في مرآة ملقاة في مزبلة وكان الأعرابي سمج الوجه قبيحا فعندما رأى قبح صورته قال مخاطبا المرآة: ما ألقاك أهلك من خير.[٣]

ووصف حميد بن ثور امرأة ألقت تبعة قبحها على المرآة ولامتها بأنها شوهت صورتها وحجبت جمالها وذكر أن هذا التصرف ظلم من هذه المرأة للمرآة لأن المرآة تعكس ما يلقى عليها ولا تملك غير ذلك ، يقول حميد:

لقد ظلمت مرآتها أم مالك بما لامت المرآة بان محردا

أرتها بخديها غضونا كأنها مَجَرَّ غصون الطلح ما ذقن فدفدا

رأت محجرا تبغي الغضاريف غيره وفرعا أبى إلا انحدارا فأصعدا

وأسنان سوء شاخصات كأنها سوام أناس سارح قد تبددا[٤]

ويضاف إلى القبح والدمامة الفوارق الاجتماعية التي تتسبب في عنوسة كثير من الرجال ورفض كثير من النساء لهم، من أمثلة رفض الزوج لوضعه الاجتماعي ما جاء:

---

[١] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ٥٣

[٢] لسان العرب لابن منظور : مادة كون

[٣] قيل : من شر ما ألقاك أهلك. يقول لو كان فيك خير ما تحاماك الناس ويروى من شر ما طرحك يضرب للبخيل يزهد فيه الناس .[مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٨٤]

[٤] الأشباه والنظائر ج ٢ ص ٢٩٢

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّ جُلَيْبِيبًا[1] كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ يَمُرُّ بِهِنَّ وَيُلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبِيبٌ فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ قَالَ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيِّمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ فَقَالَ نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنُعْمَ عَيْنِي فَقَالَ إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي قَالَ فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِجُلَيْبِيبٍ قَالَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُشَاوِرُ أُمَّهَا فَأَتَى أُمَّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ابْنَتَكِ فَقَالَتْ نِعِمَّ وَنُعْمَةُ عَيْنِي فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيبٍ فَقَالَتْ أَجُلَيْبِيبٌ ابْنَهْ أَجُلَيْبِيبٌ ابْنَهْ أَجُلَيْبِيبٌ ابْنَهْ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تُزَوَّجُهُ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا قَالَتْ الْجَارِيَةُ مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا فَقَالَتْ أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ ادْفَعُونِي فَإِنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْنِي فَانْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ شَأْنَكَ بِهَا فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيبًا قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ لَهُ قَالَ فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا نَفْقِدُ فُلَانًا وَنَفْقِدُ فُلَانًا قَالَ انْظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا لَا قَالَ لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا قَالَ فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلَى قَالَ فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ قَتَلَ سَبْعَةً وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَاعِدَيْهِ وَحُفِرَ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُ غَسَّلَهُ قَالَ ثَابِتٌ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ

---

[1] جليبيب غير منسوب وهو تصغير جلباب. (الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٨١)

أَنْفَقَ مِنْهَا وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ هَلْ تَعْلَمْ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا[1] قَالَ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا.[2]

مع العلم أن هذه الفتاة كانت رائجة السوق، كثيرة الخطاب كما جاء في رواية أخرى للحديث: فعَنْ أَنَسٍ قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا فَقَالَ حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَعَمْ إِذًا قَالَ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ لَاهَا اللَّهُ إِذًا مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جُلَيْبِيبًا وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ قَالَ وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ قَالَ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا وَقَالَا صَدَقَتْ فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ قَالَ فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ فَزَوَّجَهَا ثُمَّ فُزِّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ قَالَ أَنَسٌ فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ.[3]

ثانيا: القبح والدمامة عند الفتيات:

الدمامة من أهم الأسباب التي تؤثر في عنوسة الفتاة، فالبنت الجميلة سوقها قائمة وتجارتها رائجة وأمرها نافق بين الخطاب، وأمامها فرص واسعة للانتقاء والاختيار من

---

(١) الكَدُّ: الإتعاب، يُقال: كَدَّ يَكُدّ في عَمَله كَدّاً، إذا اسْتَعْجل وتَعب. ومنه حديث جُلَيبيب: ولا تَجْعَل عَيْشَهُما كدّاً. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {كدد}]

(٢) مسند الإمام أحمد، مسند أبي برزة الأسلمي، حديث رقم: ١٨٩٤٨

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، حديث رقم: ١١٩٤٤

الخطاب المتقدمين، ولها أن تضع ما تشاء من الصفات وتشترط ما تريد من الشروط في الزوج المرتقب، ولو تم زواجها فإن جمالها يكون شافعا لها عند زوجها فلا يغيرها بضرة غالبا، قال ضمرة بن ربيعة، عن عبد الله بن شوذب: دخلت امرأة جميلة على الحسن البصري فقالت: يا أبا سعيد ينبغي على الرجال أن يتزوجوا على النساء؟ قال: نعم. قالت: وعلى مثلي؟ ثم أسفرت عن وجه لم ير مثله حسنا وقالت: يا أبا سعيد لا تفتوا الرجال بهذا. ثم ولت. فقال الحسن: ما على رجل كانت هذه في زاوية بيته ما فاته من الدنيا.[١]

كما أن الجمال يغفر زلات الزوجة وأخطائها: فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أطوف بالبيت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكفي في كفه، فإذا بأعرابي يحمل امرأة كأنها مهاة يطوف وهو يقول شعرا:

عُدْتُ لهذي جَمَلاً ذَلولا ... مُوَطَّأً أَتْبَعُ السُّهولا
أَعْدِلُها بالكَفِّ أن تَميلا ... أَحذَر أَن تسقط أَو تزولا
أَرْجو بذاك نائلاً جَزِيلا

فقال له عمر: رضي الله عنه من هذه؟ قال: يا أمير المؤمنين امرأتي. فقال: برب هذا البيت لقد جازيتها فقال: أما إنها مع ذلك لحمقاء مرغامة،[٢] أكول تلقامة، مشئومة

---

[١] روضة المحبين ص ٢٢٣

[٢] امرأة مِرْغامة: مغضبة لبَعْلِها.

الهامة، فقال: ما تصنع بها يا أعرابي؟ حسناء فلا تفرك، وأم عيال فلا تترك، فقال: شأنك بها.[١]

أما الفتاة الدميمة فيقل خطابها إن لم ينعدموا، وقد يأتيها ابن عمها أو قريبها رغبة منه في إرضاء أهله وأهلها أو إرغاما عليها أو رغبة في مصلحة مادية رآها فيها ودمامتها وقبحها يلاحقانها بعد زواجها فيمكن أن تطلق لأتفه الأسباب فلا حسن يشفع لها ولا جمال يدفع عنها غوائل الزمان وتقلبات الأحداث. ويمكن أن تطلق في ليلة زفافها،[٢] كما تزوج أحدهم إحدى النساء وطلقها في يوم زفافها فعندما سئل عن ذلك قال: شننتها في أهلها.[٣]

---

[١] لسان العرب، مادة: رغم / ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار، لإسماعيل بن نصر بن عبد المحسن المعروف بابن قطعة، تحقيق: رياض مصطفى العبد الله، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ، ص ٢٧٧ / البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب بيروت، (ب. ت) ج ١ ص ٢٦١

[٢] زف الإبل يزف زفا وزفيفا، وأزفها ساقها، قال تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴾ أي: يسرعون، و ﴿ يَزِفُونَ ﴾ من أزف الظليم: دخل في الزفيف، وهو الإسراع أي: يحملون أصحابهم على الزفيف. وأصل الزفيف في هبوب الريح، وسرعة النعام التي تخلط الطيران بالمشي. وزفزف النعام: أسرع، ومنه استعير: زف العروس، واستعارة ما يقتضي السرعة لا لأجل مشيتها، ولكن للذهاب بها على خفة من السرور. [مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة: زف]

[٣] قيل: شننتها في أهلها من قبل أن تزوى إلي. أي أبغضتها من قبل أن تزف إليّ. يضرب للمشنوء. وتزوى: أي تضم تجمع (مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٥٢٢)

ورغم أن العنوسة داء منتشر ومستشر إلا أنه أكثر انتشارا واستشراء في أوساط الفتيات القبيحات فالعانس الجميلة يحدوها أمل الظفر بزوج ويكون في سابق عمرها قد تقدم لها متقدمون فرفضتهم لعدم ملاءمتهم لها، أما القبيحة فلا أمل لها في المستقبل القريب، ولا ماضي يسليها ويجعلها تقول: قد تقدم لي متقدم فرفضته، ولو تجرأ إنسان وجازف وتزوج قبيحة لأسباب رآها فيها أو لطمع مادي، فإن المجتمع لا يدعه وشأنه بل قد يواجهه من يواجهه من أفراد المجتمع قائلا: هل كنت في كامل وعيك وقواك العقلية عند اختيارك لهذه الشيطانة.[1]

والفتاة القبيحة لا تحمل همها وحدها بل الهم يتعداها إلى غيرها من أهل وأقارب وأناس راحمين لها، وأكثر من يحمل همها ويكتوي بقبحها والدها ، كما في هذه القصة: كان زياد بن أبيه يعشي الناس كل يوم، فرأى يوما رجلا قبيحا يأكل أكلا ذريعا، فسأله متلطفا: هل لك ولد؟ فقال الرجل: ثمان بنات هن آكل مني وأنا أجمل منهن. فقال زياد: لطالما تلطفت في المسألة ثم أعطاه عطية.

ورغم تباين وجهات نظر الناس في الجمال، فإنهم لا يختلفون في جمال القمر وقبح القرد وتباين وجهات نظرهم في الألوان من تفضيل الصفرة على السمرة، وفي الأشكال من تفضيل الطول أو التوسط وفي تفضيل الأحجام من السمن والبدانة أو النحافة

---

[1] قال جعفر بن قدامة: كنا عند عبد الله بن المعتز يوما ، ومعنا النميري، وعنده جارية لبعض بنات المعتز تغنيه، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية القبح، فجعل عبد الله يتعاشق، فلما قامت، قال له النميري: أيها الأمير سألتك بالله أتعشق هذه التي ما رأيت أقبح منها؟ فقال وهو يضحك:

قلبي وثاب إلى ذا وذا ليس يرى شيئا فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القباح فيهواه

(معاهد التنصيص ج ٢ ص٤١)

والتوسط، فلا يختلفون في تفضيل البياض على السواد وفي تفضيل درامة الكعبين على ظهور عراقيبها وطولها وتفضيل غلظ الساقين وخدالتها على حموشتهما ودقتهما ونحافتهما وأشعار العرب مليئة بذلك، أنشد العجاج أبا هريرة رضي الله عنه:

قامت تريك خشية أن تُصرما ساقا بخنداة [1] وكعبا أدرما[2]

كما أنهم مجمعون على مدح الطول وذم القصر ، قال أعرابي من بني سعد محبذا الطول:

تبين لي أن القماءة ذلة وأن خيار الرجال طيالها[3]

وفي رأي كثير من الناس أن القصر مذموم وأن القصار من النساء هن شر النساء. قال كثير عزة:

وأنت التي حببت كل قصيرة إليَّ ولم تشعر بذاك القصائر

---

[1] البخنداة من النساء : التامة القصب والساق البخنداة : الساق الممتلئة وجمع بخنداة : بخانـد وبخاند. [لسان العرب ج ١ص ٢٢٣]

[2] الأدرم الذي لا حجم لعظامه، يريد أن كعبها مستو مع الساق ليس بنات، فإن استواءه دليل السمن. ونتوه دليل الضعف. وامرأة درماء لا تستبين كعوبها. [انظر : لسان العرب ج ١ص ٢٢٣ ج٢ ص ١٣٦٦]

[3] الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد (طبع مؤسسة المعارف ببيروت)، ج ١ ص ٥٥

عنيت قصيرات [١] الحجال ولم أرد قصار الخطى شر النساء البحاتر [٢]

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الزوجة التي تسر الزوج عند نظره إليها من أفضل النساء، فعَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ قَالَ الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ [٣] وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا [٤] وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ [٥]

وقال عروة بن الزبير: ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق، ولا وضع أحد نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء! ثم قال: لعن الله فلانة ألفت بني فلان بيضا طوالا، فقلبتهم سودا قصارا. [٦]

والقبح ليس سببا في رفض كثير من الفتيات أن تقترن بالشخص القبيح فحسب، بل قد يكون سببا لفسخ الخطوبة أو الاختلاع بين الزوج والزوجة بعد أن يتم زواجهما، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ كَانَتْ حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ تَحْتَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ

---

[١] قال الحجاج بن يوسف: من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلي صداقها. [المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٨٦ــ١٨٧]

[٢] كتاب المعاني لابن قتيبة ج١ص٥٠٥

[٣] إذا نظر : أي لحسنها ظاهرا أو لحسن أخلاقها باطنا ودوام اشتغالها بطاعة الله والتقوى.

[٤] في نفسها: بتمكين أحد من نفسها.

[٥] سنن النسائي، كتاب النكاح، باب: أي النساء خير؟ حديث رقم :٣١٧٩

[٦] العقد الفريد ج٧ص٨٨

لَبَصَقْتُ [١] فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ قَالَتْ نَعَمْ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ قَالَ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [٢]

رغم أن الأشياء الأخرى من مال ودين قد يكون لا غبار عليها عند كثير من الفتيات بل قد توافق على زوج لا دين له ولا أخلاق.

وقد تتجرأ الفتاة وتؤذي القبيح المتقدم لها قال أبو عبيدة: خطب رجل من بكر بن وائل إلى رجل من مراد ابنته، فهم أن يزوجها، فبينما الجارية تلعب مع الجواري إذ جاء البكري، فقلن لها: هذا خاطبك. فقالت: ما رجل هو أحب إلي أن أكون قد رأيت منه، فلما رأت رجلا كبير السن قبيح الوجه، قالت: أوقد رضي أبي؟ قلن: نعم. فدخلت البيت واشتملت على السيف، وشدت عليه فسبقها عدوا، ونالته بضربة. فقال ابن همام السلولي يشبب بامرأة:

أخاف بأن يجزى المحب كما جزت ... فتاة مراد شيخ بكر بن وائل

فلو لم يُرع روع الحبارى تفتخت ... ذائبه منها بأبيض ناصل

ولا ذنب للحسناء لما بدا لها ... ضعيف كخط الصوف رخو المفاصل [٣]

---

[١] عن ابن عباس: أول خلع كان في الإسلام امرأة ثابت بن قيس، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله لا يجتمع رأسي ورأس ثابت أبدا، إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة، فإذا هو أشدهم سوادا، وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها، فقال: أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم، وإن شاء زدته ففرق بينهما.(فتح الباري ج١١ص٣١٨)

[٢] مسند الإمام أحمد، مسند سهل بن أبي حثمة، حديث رقم : ١٥٥١٣ / سنن ابن ماجة : كتاب الطلاق، باب: المختلعة تأخذ ما أعطاها ، حديث رقم : ٢٠٤٧

[٣] أمالي ابن دريد ص١٨٣

أو قد تفرك زوجة القبيح زوجها وتقيم معه لاعتبارات تحسبها وتعرفهـا تمـام المعرفـة، وتحاول إيذائه وإسماعه ما يكره.[١]

ومن أهم أسباب القبح السواد وهو سبب في عنوسة أصحابه، قال نصيب عـن بناته وكن سوداوات:

كسدن من الفقر في بيتهن وقد زادهن سوادا كسودى[٢]

مما سبق يتضح لنا أن القبح والدمامة من أسباب العنوسة عند الفتيات. لذا فالشوهاء من النساء لا يجرؤ أحد على الاقتران بها، بل يكون مثار التهكم والسخرية إن تزوجها رجل من أفراد المجتمع.

وللعلماء آراء حول الجمال وما يستحب وجوده من صفات حسية ومعنويـة في المرأة وما يكره وهذه الآراء والصفات مبثوثة في كتبهم.[٣]

وقد يقدم أحد المتقدمين لفتاة لرؤيته لأخيها الجميل، وهو يظن تمام الظن أن أخته في مثل جمال أخيها وزيادة ولكنه قد يجد الأمر خلاف ذلك، كما حدث ذلك للحسن بن علي رضي الله عنه الذي تزوج أم حبيب بنت عمرو بن الأهتم، وكان لعمرو بن الأهتم

---

[١] انظر الخلافات بين الزوجين ص

[٢] انظر شرح ديوان أبي تمام للتبريزي

[٣] انظر هذه الصفات في كتابي: روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم، وذم الهوى لابن الجوزي

ابن يقال له نعيم بن عمرو، من أجمل الناس، فتزوجها الحسن بن علي، وقدر أن تكون في جمال أخيها،[١] فوجدها قبيحة فطلقها.[٢]

٣ ـ العاهات والإعاقات :

أولا: العاهات والإعاقات عند الفتى:

قد يكون الرجل مصابا بعاهة، كأن يكون كسيحا، أو مفلوجا أو ضعيف البنية ضعفا بينا يعيقه كثيرا عن أداء مهامه، أو يكون عقيما معروف العقم، فيتقدم للفتيات فيرفضنه ولا يوافقن عليه ولا يقبلن به زوجا لهن ولا شريكا لحياتهن، لمرضه ولزمانته، ومن أمثال العرب: كسير وعوير وكل غير خير: قال المفضل أول من قال ذلك أمامة بنت نشبة بن مرة، كان تزوجها رجل من غطفان أعور يقال له: خلف بن رواحة، فمكثت عنده زمانا حتى ولدت له خمسة ثم نشزت عليه، ولم تصبر معه فطلقها، ثم إن أباها وأخاها خرجا في سفر لهما فلقيهما رجل من بني سليم، يقال له حارثة بن مرة، فخطب أمامة وأحسن العطية، فزوجاها منه، وكان أعرج مكسور الفخذ، فلما دخلت عليه رأته محطوم الفخذ فقالت: كسير وعوير وكل غير خير.[٣]

وإن وافقت إحدى الفتيات على المعاق فذلك لخوفها أن لا تجد غيره. لأن في الحقيقة أن البنت المعاقة أكثر رفضا من الرجال وعدم قبول للزواج منها من الرجل المعاق، لأن البنت المعاقة ترفض جملة وتفصيلا، أما الرجل المعاق، إن كانت إعاقته إعاقة بسيطة فإنها لا تؤثر فيه تأثيرا كبيرا، لأن لكل ساقطة لاقطة. قال الشاعر:

---

[١] من الأمثال العامية السودانية: إذا أردت إن تعرف فاطمة فانظر إلى محمد (يعنون شقيقها).

[٢] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٥٢٩

[٣] مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٢٢.

لكل ساقطة في الحي لاقطة وكل كاسدة يوما لها سوق[١]

فقد تقبله بعض الفتيات ليس حبا فيه ولكن خوفا من عدم الظفر بغيره.

ثانيا: العاهات والإعاقات عند الفتاة :

قد تكون العانس معاقة إعاقة تامة فهي ذات عاهة مستديمة، أو معاقة إعاقة جزئية، كأن تكون شلاء أو عرجاء أو عمياء، أو عوراء، أو ناقصة عضو من الأعضاء، فلا يفكر أحد في الاقتران والارتباط بها، لأن الرجل يريد زوجة غير معيبة ـــ وهذه العاهات والإعاقات في نظر المجتمع عيب كبير ـــ والرجل جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، فهو إن رضي بمساعدة معاقة بالزواج منها فإن المجتمع لا يتركه وشأنه.[٢] والاحتساب في الرجال في هذا الجانب قليل جدا بل يكاد أن يكون منعدما لأن الرجل يريد امرأة تخدمه ولا يريد امرأة يخدمها بل قد يخاطب نفسه عند مراودة مثل هذه الأفكار ويقول لغيره صراحة إذا طلب منه ذلك: إنه ليس دارا للعجزة وذوي العاهات ولا مستشفى للمرضى والمعاقين.

وقد ترضى فتاة سوية لا عيب فيها، ولم تصل إلى مرحلة العنوسة في نظرها ولا نظر المجتمع، لصغرها أو لغفلتها عنها، بالزواج من معاق، كأن يكون أعمى، أو أشل، والعانس أكثر رضا، أما المطلقة فهي أكثر تهافتا على هذا النوع من الرجال من سابقاتها وهذا مشاهد ملموس في حياتنا.

---

[١] أي لكل نادرة من الكلام من يحملها ويشيعها. (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٥١)

[٢] انظر قصة: أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الواعظ الزاهد الخيري الذي تزوج معاقة وكيف أن أهله ومجتمعه سخر منه، وكيف عد صبره على تحملها من أعظم القربات وأجل الطاعات التي يتقرب بها إلى الله تعالى في العلاج الوقائي من الفتاة العانس.

ويعلم المعاق تمام العلم أن هذه الفتاة لم توافق عليه إلا أنه لم تجد غيره وأنها لو كان فيها خير لما تركها له المعافون، قيل: تزوج أعمى امرأة فقالت له: لو رأيت حسني وبياضي لعجبت فقال لها: لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء.[١]

وقد يكون من حظ المرأة أن تفاضل بين معاقين تقدما لخطبتها فتفضل أحدهما على الآخر، ومن أمثال العرب: عي أبأس من شلل. وأصل المثل: أن رجلين خطبا امرأة، وكان أحدهما عي اللسان كثير المال، والآخر أشل لا مال له، فاختارت الأشل، وقالت: عي أبأس من شلل. أي شر واشد احتمالا.[٢]

أما أن يرضى رجل سوي بامرأة معاقة ويجعل من هذه المعاقة الزوجة الأولى، فهذا في حكم الاستحالة والعدم، إلا لحاجة في نفسه، كأن يتشرف بها في المجالس لمكانة أسرها لكون أبيها زعيما كبيرا أو صاحب مال أو نحو ذلك من الأسباب المرغبة في نكاح مثلها، ومن أمثلة ذلك:

ـ حكي أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار إلى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت: من أنت؟ قال: المغيرة بن شعبة الثقفي قالت: ما حاجتك؟ قال: جئت خاطبا. قالت: إنك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر وإلا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور.[٣]

---

[١] كتاب الأذكياء لأبي الفرج عبد الرحمن بن الفرج بن علي بن الجوزي، مكتبة الغزالي (ب ت) ص ١٤٥

[٢] مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٦٢٩

[٣] المستطرف ج ٢ ص ٤٨٢

ـــ خطب أحدهم بنت معاوية بن أبي سفيان فقال له أبوها: إنها عرجاء[١] فبين له سبب تقدمه وقبوله لها، فقد روى عمرو عن أبيه أنه قال: خَطَبَ رجلٌ إلى معاوية بِنْتاً لـــه عَرْجاء، فقال: إنَّها ضَميلةٌ، [٢] فقال: إنِّي أردت أن أتشرَّف بمُصـــاهَرَتك ولا أُريـــدها للسِّباق في الحَلْبة، فَزوَّجه إيَّاها؛ الضَّميلُ: الزَّمِن، والضَّميلة الزَّمِنة؛ قال الزمخشـــري: إن صحت الرواية فاللام بدل من النون من الضَّمَانة، وإلا فهي بالصاد المهملة، قيل لها ذلك لِيُبْسٍ وجُسُوءٍ في ساقها، وكُلُّ يابسٍ ضامِلٌ وضَمِيلٌ.[٣]

والرجل غالبا لا يقدم على الزواج من المعاقة ولا يخاطر بالاقتران بمثلها، حتى ولا يرضى بها زوجة ثانية ولا ثالثة. لأن الرجال قد تربوا على البعد عن أمثال هذه الأنـــواع من النساء، وتلقوا ذلك من وصايا آبائهم وأجدادهم، قال يزيد بن عمر بن هـــبيرة: لا تنكحن برشاء، ولا عمشاء، ولا وقصاء،[٤] ولا لثغاء، [٥] فيجيئك ولد ألثغ، فوالله لولد أعمى أحب من ولد ألثغ.[٦]

---

[١] قال ابن شوذب: أحصن المغيرة أربعين من بنات أبي سفيان، وكان آخر من تـــزوج منـــهن بهـــا عرج. [سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٠]

[٢] الضَّميلة: المرأة الزَّمِنة

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ضمل} / لسان العرب، مادة: ضمل / الفائق للزمخشري ٢ ص ٣٤٨

[٤] الوقص : قصر العنق خلقة

[٥] اللَّثَغُ، مُحرَّكةً، واللُّثْغَةُ، بالضمِّ: تَحَوُّلُ اللسانِ مِنَ السينِ إلى الثاء، أو مِنَ الراءِ إلى الغينِ أو اللامِ أو الياء، أو مِنْ حرفٍ إلى حرفٍ، أو أن لا يَتِمَّ رَفْعُ لِسَانِه وفيه ثِقَلٌ، لَثِغَ، كفَرِحَ، فهو ألْثَغُ. وكنَصَرَهُ: جَعَلَهُ ألْثَغَ. واللُّثَغَةُ، مُحرَّكةً: الفَمُ. [القاموس المحيط، باب الغين. فَصْلُ اللاّم.]

[٦] العقد الفريد ج٧ص١٢٢

ـ وذكر أن رجلا تزوج امرأة، معاقة وكان لا يعلم بها، فعندما دخل بها، نزعت يدها ورجليها الصناعتين، وحركت رأسها فبدأ شعرها المستعار وطقم أسنانها الصناعي، فخلعت ذلك ووضعت ما نزعته من جسمها جانبا وقالت لها: ادن يا حبيبي مني، فقال الرجل: أنا مع الأغلبية.

ـ وتزوج أبو الغول[١] الطهوي امرأة فوجدها عرجاء من رجليها جميعا فقال :

أعوذ بالله من زلاء[٢] فاحشة ... كأنما نيط ثوباها على عود

لا يمسك الحبل حقواها[٣] إذا انتطقت ... وفي الذنابي وفي العرقوب تحديد

أعوذ بالله من ساق بها عوج ... كأنها من حديد القين سفّود[٤]

أما المعاقون من الرجال والنساء فلا يتزوجون من بعضهم ولا يقترن بعضهم ببعض. ويعلل الناس رفضهم للمعاقات بأن نتاج هذا الزواج ولادة أطفال معاقين بفعل عوامل الوراثة، كما أن الرجل يريد زوجة كاملة معافاة تكون سكنا له، يبادلها حبا بحب، وودا بود، يشاركها الهموم وتشاركه، لا يريد امرأة تكون هما عليه، أو كلا عليه أينما يوجهها لا تأت بخير فهل تستوي هي مع امرأة سوية الخلق والخلق؟ قال الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

---

[١] سمي بذلك لأنه زعم أنه قتل غولا

[٢] زلاء : قليلة لحم الوركين

[٣] الحقو : الخصر

[٤] المؤتلف والمختلف ص١٦٣ ، البرصان والعرجان ص١٣٤

رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [١]

ومن القصص المحزنة للمعاقات وصاحبات العاهات التي عثرت عليها وقلنها بألسنتهن الآتي:

قصة رقم ١:

أنا فتاة أبلغ من العمر ٣٣ سنة، حكم علي القدر بأن أعيش مشوهة الوجه، (إرادته سبحانه تعالى ولا يمكن الاعتراض عليها) (الحادثة) كان لي موعد (معها) وأنا عمري ٤ سنوات، حين تعرضت لحادث مريع، حيث صدمتني سيارة، وقد خلف لي هذا الحادث تشوها في الوجه، هذا التشوه أصبح عقدتي. وبمرور السنوات وأنا أكبر لم أنتبه لحجم المعاناة. لكني اليوم أدركت حجمها. نعم لطالما حلمت بالزواج وبالأمومة، لكن، من يقبل بي؟ [٢]

قصة رقم ٢ :

سأسرد لك مشكلتي التي طالما آلمت أعصابي إني بحاجة إلى إنسان أحكي له مكبوتات صدري المؤلمة لقد درست خمس سنوات ونصف وتركت المدرسة بعد إصابتي بمرض عرفت فيما بعد أنه مرض ((التأتأة)) وقد كان ولا يزال سببا في تحطيمي، وصعوبة النطق سببت لي الكثير من المتاعب والشعور بفقدان الثقة وللأسف كنت أظن أن أهلي سيرفقون بي، ولكنهم عايروني بهذا المرض، حتى صار يتردد على ألسنة الصغار، مما زاد ألمي وحزني إن جروح قلبي لازالت دائمة النزيف لا تندمل، وأصبحت أرفض

---

[١] سورة النحل آية : ٧٦

[٢] www.mana.ae /word/means/٩.htm

الزواج رفضا باتا، وكيف أوافق عليه وأنا في هذه الحالة؟ صرت لا أنام ولا آكل ولا أشرب حتى ضعف جسمي وأنهكتني الأحزان وتدهورت صحتي النفسية والبدنية، حتى قال لي الطبيب: تجنبي القلق والوسوسة وإلا أصبت بمرض القلب لا محالة هذه هي مشكلتي.[١]

قصة رقم ٣ :

أنا فتاة أبلغ من العمر ٢١ عاما، معاقة حركيا، لكن ذلك لم يكن عائقا بالنسبة لي، لأن الله أعطاني قوة إيمان جعلتني أتحدى كل الصعاب لأنني أعرف أن الحياة سقوط ونهوض، نجاح وفشل لكن مشكلتي الوحيدة هي (الناس) فالناس لا ترحم، ولا يحترمون شعوري، فالبعض ينظر إلى نظرة احتقار أو شفقة، بل إن البعض يضحك من إعاقتي ويطلقون علي أسماء تترك الحزن في نفسي الضحكات والسخرية لا لشيء إلا لعدم قدرتي على المشي، مع أنني أعلم جيدا أنه لا ذنب لي أما المشكلة الثانية فهي أنه من حقي أن (أحب)[٢] مثل جميع بنات جنسي، طبعا في الحدود الشرعية أم أنه لا حق للمعاق في الحب ؟![٣]

قصة رقم : ٤

أنا فتاة في السابعة والعشرين من عمري، تخرجت من الجامعة، ومنذ سنوات أصبت بمرض جلدي ((البهاق)) جعلني إنسانة معقدة، وكدت أنزوي وأترك الدراسة،

---

[١] مشكلات الشباب والفتيات زينب الغزالي الجبيلي ج ١

[٢] لعلها تقصد أن تتزوج فكلمة الحب من المفاهيم الغربية التي ينبغي الترفع عنها لأنها في حقيقتها الزنا.

[٣] مشكلات الشباب والفتيات زينب الغزالي الجبيلي ج ١

ولكن ثقتي بالله كانت كبيرة، وعدت لحالتي النفسية الطبيعية، ورجوت الله أن يغفر لي، حتى صرت إنسانة طبيعية، وفي الفترة الأخيرة تقدم لخطبتي زميل لي في العمل إلا أنني مترددة جدا لإعطائه رد الموافقة، علما بأنه تقدم لخطبتي كثيرون، ورفضتهم بسبب هذا المرض الجلدي لقد حرت في أمري والعمر يجري. [١]

كما أن على أولياء الأمور أن لا يغرروا بالمتقدمين لكريماتهم ويخبروهم بمثل هذه العلل، حتى لا تحدث نتائج سلبية بعدم إخبارهم، لأن الإخبار غالبا يجعل مكانة أهل البنت تكبر في المتقدم فلا يرجع القهقرى ولا ينكص على عقبيه. قال محمد بن بحر: حدثني عمي: لما اجتمعنا لتزويج أبي عبد الله [٢] بأخت محمد بن ريحان، قال له أبوها: يا أبا عبد الله إنها ــ ووضع إصبعه على عينها يعني أنها بفرد عين ــ فقال له أبو عبد الله: قد علمت. [٣]

وقد يلجأ المعاق إلى التبريز في شيء آخر، تعويضا عما يعانيه من صراع في نفسه وإشغالا لنفسه وإن يرى غيره أن إعاقته لم تكسر من شوكته وأن مصابه لم يفل في عضده ولم يفت في عزمه وأنه أفضل من كثير من الأصحاء. قال الحربي: كان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخل بدنه، وكان منكباه غاصين كأنهما زجان، فقالت أمه: يا بني لا تكون في مجلس قوم، إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه

---

[١] www.mana.ae /word/means/٩.htm

[٢] أحمد بن حنبل

[٣] مناقب الإمام أحمد ص٤٠٣

يرفعك فولي قضاء مكة عشرين سنة، قال: وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرعد حتى يقوم.[١]

٤ ـ الزهد في الزواج :

أولا: الزهد في الزواج عند الفتى:

تفكير الرجل في إعفاف نفسه والسعي نحو إحصانها هو الشيء الطبيعي لكل الرجال تقريبا ، فالرجل مفطور بطبيعته للانجذاب نحو الأنثى كما هو شأنها أيضا. ولكن الرجل قد يزهد في الزواج لأسباب عدة منها:

أ ـ الزهد في الزواج للحصر وعدم المقدرة على إتيان النساء :

قال الله تعالى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا[٢] وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣] قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ وَحَصُورًا[٤] لَا يَأْتِي النِّسَاءَ.[٥]

---

[١] البحر الرائق في الزهد والرقائق، لأحمد فريد، ص ٣٨، مكتبة الصحابة، جدة، ١٤١١هـ ـــ ١٩٩١م

[٢] قال ابن الأعرابي: هو الذي لا يشتهي النساء ولا يقربهنّ. الأزهري: رجل حَصُورٌ إذا حُصِرَ عن النساء فلا يستطيعهنّ والحَصُورُ: الذي لا يأتي النساء. [لسان العرب لابن منظور : مادة حصر]

[٣] سورة آل عمران آية ٣٩

[٤] قال ابن حجر رحمه الله تعالى : أصل الحصر الحبس والمنع ، يقال لمن لا يأتي النساء أعم من أن يكون ذلك بطبعه كالعنين أو بمجاهدة نفسه، وهو الممدوح والمراد في وصف السيد يحيى عليه السلام. (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٥٧)

[٥] صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن

وهذا السبب من أعظم الأسباب في عزوف الرجال عن النساء، فقد يكون رجلا حصورا، علم هذا الداء من نفسه، ولا يود أن يطلع على علته أحد من الناس، فيسأله الناس عن زواجه متى وممن وأين؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الطبيعية، فيجيب إجابات توحي بأنه راغب في الزواج ولكنه لم يتيسر له حاليا، والحصر سبب لانصراف كثير من الناس عن الزواج مع محاولتهم لعلاجه، ومن طرائف ما حدث في ذلك، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كان ابن أبي يحيى أحمق أو قال: أبله، كان لا يمكنه الجماع، فأخبرني من رآه معه فأس، فقال: بلغني أنه من بال في ثقب فأس أمكنه الجماع، فدخل خربة فبال في الفأس.[١]

ب ـ الزهد في الزواج بخلا من الإنفاق على الزوجة والأولاد:

بعض الناس يغلب عليه البخل، وأنه يأخذ ولا يعطي ويدخل ولا يخرج، قال يزيد بن عمير لبنيه: يا بني، اعلموا أن يكون عند أحدكم مائة ألف أعظم له في صدور بني تميم، وأعظم شرفا له من أن يقسمها فيهم، ولأن يقال لأحدكم شحيح وهو غني، خير له من أن يقال سخي وقد افتقر، ولأن يقال لأحدكم جبان وهو حي خير من أن يقال شجاع وقد قتل، وتعلموا الرد فوالله لهو أشد من الإعطاء.[٢] وكما ذكر عن أحد البخلاء، وهو أبو عبس، وكان إذا وقع الدرهم في يده نقره بإصبعه ثم يقول: كم من مدينة قد دخلتها، ويد قد وقعت فيها، فالآن استقر بك القرار، واطمأنت بك الدار، ثم يرمي به في صندوقه، فيكون آخر العهد به.[٣]

---

[١] سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٤٥٤

[٢] كتاب البخلاء للخطيب البغدادي ص ١٣٦

[٣] المحاسن والمساوئ للجاحظ ص ٧٩

شخص مثل هذا قبل أن يقدم على الزواج يحسب حسابه تماما فيحسب كم تصرف منه الزوجة من مهر ونفقة، ومتطلبات معيشة، قد يسوف في توفيرها ويماطل فيها ويأمر غيره بذلك، كما كان يفعل الحجاج بن عنبسة الذي قيل عنه: مر بالحجاج بن عنبسة، رجل في يوم صر وهو يرعد فقال له: ما الذي أخرجك من بيتك في مثل هذا اليوم؟ قال: خرجت أشتري لزوجتي بردا، قال: لا كسا الله عريها، أما لها برد. قال: نعم ولكنه خلق، قال: ارقعه ما دام فيه مستمتع فإذا لم تبق فيه بقية فماطلها أربعة أشهر وعشرا، عدة المتوفى عنها زوجها.[١]

كما أنه يحسب كم تكون تكاليف هذا المولود من عقيقة وملابس وأكل وخلافه. قال المعري:

كم صَرَفَ المولودُ، عن والدٍ خيراً، وكم أمٍ له لم يمنْ[٢]

الرُّبْعُ للزوجةِ، إن لـم يكنْ نَسْلٌ، وإن كان غَدَتْ بالثمنْ

فالخوف من القيام بتكاليف النساء والإنفاق عليهن ابتداء سبب لترك الزواج وذاك لطبيعة البخل الغالبة على الرجل، رغم ما في أمر الإنفاق على الزوجة من أجر عظيم، فعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ.[٣]

قال النووي رحمه الله تعالى: فيه استحباب الإنفاق في وجوه الخير. وفيه: أن الأعمال بالنيات، وأنه إنما يثاب على عمله بنيته، وفيه أن الإنفاق على العيال يثاب عليه

---

[١] سمط اللآلي ج ١ ص ٢٨٠

[٢] يمن: يحتمل مؤنته.

[٣] صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب: الوصية بالثلث، حديث رقم: ٣٠٧٦

إذا قصد به وجه الله تعالى. وفيه: أن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة، ويثاب عليه، وقد نبه صلى الله عليه وسلم على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك)؛ لأن زوجة الإنسان هي من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى، حصل له الأجر بذلك، فغير هذه الحالة أولى بحصول الأجر إذا أراد وجه الله تعالى، ويتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئا أصله على الإباحة، وقصد به وجه الله تعالى يثاب عليه، وذلك كالأكل بنية التقوي على طاعة الله تعالى، والنوم للاستراحة؛ ليقوم إلى العبادة نشيطا، والاستمتاع بزوجته وجاريته؛ ليكف نفسه وبصره ونحوهما عن الحرام؛ وليقضي حقها؛ وليحصل ولدا صالحا، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم:"وفي بضع أحدكم صدقة ."[1]

كما أن الخوف من مضايقة الأولاد الذين هم نتاج الزواج لآبائهم في الأرزاق، سبب آخر لترك الزواج والعزوف عنه والزهد فيه، فيمتنع الرجل من الزواج أصلا أو يتخلص من نتاج هذا الزواج، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[2]

---

[1] مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٧ ص ٤٤٤٣

[2] سورة الإسراء آية : ٣١

وعَنْ عَبْد اللَّه قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْب أَعْظَمُ عنْدَ اللَّه قَالَ أَنْ تَجْعَلَ للَّه ندًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قُلْتُ إنَّ ذَلكَ لَعَظيمٌ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ [١] قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تُزَانيَ بحَليلَة جَارِكَ.[٢]

ج ـ الزهد في الزواج خوفا من مسئولية النساء أمام الله يوم القيامة :

قد يزهد أحد الناس في الزواج خوفا من مسئولية النساء أمام الله يوم القيامة. باعتبار أنهن رعية، وأن كل راع مسئول عن هذه الرعية، وأنه يخشى التقصير والتفريط في هذا الأمر، وأن أفضل السبل وأنجى الطرق هو الانصراف عنهن والازورار عن التلطخ والاقتران بهن وإيثار حياة العزوبة، فالمسئولية أمام الله عز وجل عن النساء عظيمة جدا. فالإنسان مسئول عن الإطعام والنفقة والكسوة وتوفير السكن والإعفاف وغيره. فالسلامة لا يعدلها شيء، قال عبادة بن علي بن صالح الأنصاري: لو كانت الشركة تصح في الزوجات لشاركت في جزء من أربعة وعشرين جزء.

وهو مسبوق إليه بنحوه من الأوزاعي فإنه قال لصديق له: إن استطعت أن تكتفي من هذا الزمان بنصف امرأة فافعل.[٣] قال بعضهم:

---

[١] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله : (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) أي من جهة إيثار نفسه عليه عند عدم ما يكفي ، أو من جهة البخل مع الوجدان. (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٦٠٧)

[٢] صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب : قوله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾حديث رقم: ٦٩٦٦/ صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، حديث رقم: ١٢٤

[٣] الضياء اللامع ج ٤ ص ١٧، نقلا عن الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهم وأسباب ذلك ، ص ٩٧ ــ ٩٨

قالوا تزوج فلا دنيا بلا امـــــرأة وراقب الله واقرأ آي ياسينـــــا
لما تزوجت طاب العيش لي وحلا وصرت بعد وجود الخير مسكينـــا
جاء البنون وجـــاء الهم يتبعهم ثم التفت فلا دنيـــا ولا دينـــا
هذا الزمان الذي قال الرسول لنا خفوا الرحال فقد فاز المخفونا[1]

د ـ الزهد في الزواج خوفا من عقوق الأبناء الذين هم نتاج الزواج :

قد يكون من سبب عدم زواج أحد الأفراد الخوف من عقوق الأبناء كما فعـل بعض من عاين عقوق الأبناء لآبائهم ممن حوله من الأسر، ومما قرأه من أخبـار العققـة وسوء معاملتهم لوالديهم مما جمعه الشعوبي أبو عبيدة معمر بن المثنى الخـارجي[2] الـذي

---

[1] عن أنس قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو آخذ بيد أبي ذر فقال يا أبا ذر أعلمت أن بين أيدينا عقبة كؤدا لا يصعدها إلا المخفون فقال رجل يا رسول الله أمن المخفين أنا أم من المثقلين فقال عندك طعام يوم قال نعم وطعام غد قال نعم وطعام بعد غد قال لا قال لو كان عنـدك طعام ثلاث كنت من المثقلين. [رواه الطبراني في الأوسط وفيه جنادة بن مروان قال أبو حـاتم لـيس بالقوي، وبقية رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد، حديث رقم: ١٧٠٥٩]

[2] أبو عبيدة معمر بن المثنى. البصري اللغوي النحوي العلامة، قال الجـاحظ: لم يكـن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه، وكان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتبا، وكان يـرى رأي الخوارج، وكان أبو نواس يتعلم منه ويصفه، ويسب الأصمعي ويهجوه، وكان إذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه، وإذا تحدث أو قرأ ألحن، ويقول: النحو محدود، ولم يزل يصنف حتى مـات، وتصـانيفه تقارب مائتي مصنف، ذُكر منها عدد وافر في ابن خلكان، وقال: ولولا خوف الإطالة لذكرت جميعها.

وكان الأصمعي إذا أراد الدخول إلى المسجد قال: انظروا لا يكون فيه ذاك، يعني أبا عبيدة، خوفا من لسانه، فلما مات لم يحضر جنازته أحد، لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحـد، لا شـريف ولا غيره، وكان وسخا، ألثغ، مدخول النسب، مدخول الدين، وأخباره كثيرة، ذكر جملة صالحة منها في

ألف كتابا جمع فيه أخبار عققة العرب خاصة، وتتبع أخبارهم وقصصهم، فقرأ هذه القصص وشاهد بعينه عقوق أبناء الجيران والأهل وممن يعرف لآبائهم، فكان هذا سببا لزهده في الزواج، والرغبة عن الإتيان بنغل يربيه وينفق عليه ويعقه في آخر المطاف، وممن فعل ذلك الزمخشري وكان قد عاين عقوق كثير من الأولاد لآبائهم، فقال في ذلك:

ما نسل قلبي كنسل صلبي من قاس رد له قياسه[1]

وقال المعري:

خيرُ النساءِ اللواتي لا يَلِدْنَ لكم فإنَ وَلَدْنَ، فخيرُ النَّسْلِ ما نَفَعا
وأكثرُ النسلِ يشقي الوالدان به فليتَهُ كان عن آبائه دفَعا
أضاعَ داريكَ من ديناً وآخرةٍ لا الحيُّ أغنى، ولا في هالكٍ رَفَعا
وكم سليلٍ رَجاهُ للجمالِ أبٌ فكان خِزْياً بأعلى هَضْبةٍ رَفَعا

أو قد يؤخر الرجل زواجه فيتزوج في آخر عمره كما فعل أحدهم فيما ذكره الراغب الأصفهاني الذي قال: قيل لرجل في التزويج فقال: أريد أن أستبق أولادي في اليتم قبل أن يسبقوني في العقوق.[2]

هـ ـ النظرات الفلسفية في الزواج :

بعض النظرات الفلسفية ترى أن هذه الحياة لا تستحق أن يتزوج الإنسان فيها وأن يتخذ أهلا وذرية ، لأنها ترى أن الزواج وإتيان الرجل زوجته واستجابة المرأة لذلك

وفيات الأعيان، ولد في سنة ١١٠ في الليلة التي توفي بها الحسن البصري، وتوفي في سنة ٢٠٩. [انظر:الرحيق المختوم، من تراجم أئمة العلوم]

[1] انظر الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهم وأسباب ذلك ، ص ٩٧ ــ ٩٨

[2] محاضرات الأدباء مجلد ١ ج ١ ص ٣٢٣

نوع من البهيمية التي يجب على الإنسان أن يربأ بنفسه عنها، وممن فعل ذلك، محمد بن بشير بن محمد بن هلال الغزي ١٣٣٩هـ الذي قال عنه أخوه لأمه كامل الغزي: لم يتزوج مطلقا، وكنت إذا عرضت له بالزواج ورغبته فيه ينشدني قول المتنبي:

وما الدهر أهل أن يؤمل عنده حياة أو أن يشتاق فيه إلى النسل[1]

والمتنبي يرى أن الزواج ونتاجه من ما يعلل به المرء نفسه، فالدنيا لا تستحق هذا، وعكس هذا في قوله:

هل الولدُ المحبوبُ إلا تَعِلَّةٌ وهل خلوةُ الحسناءِ إلا أذى البعلِ

وما الدهرُ أهلٌ أن يؤمل عنده حياة وأن يُشتاقَ فيه إلى النَّسْلِ

وقال رفيق الفاخوري:

قالَ وفي قَلبه حريقٌ مازلتُ أعدو وراءَ شطري

فقلْتُ: بعدَ الرباطِ جَرٌ فخُذْ له صاحِ كُلَّ حِذْرِ

سرورُ شهرٍ. وغَمٌّ دَهْرٍ وغرمُ مهرٍ، ودقُّ ظَهْرِ

والملاحظ أن أصحاب هذه الآراء إما من الزنادقة كأبي العلاء المعري، أو رقيقي الدين كالمتنبي.

و- ابتداع الزوج:

الملتزمون أهل السنة لا يزوجون المخالفين في الدين مخالفة واضحة، من أصحاب البدع العقائدية كالجهمية والروافض، بل يرون أن تزويج البنت من أحد سفهاء أهل

---

[1] محاضرات الأدباء مجلد ١ ج ١ ص ٣٢١

السنة قطع لرحمها واستهانة بها، قيل: من زوج كريمته من سفيه فقد عقها.[١] قال ابن مهدي عن الجهمية: ما كنت لأناكحهم، ولا أصلي خلفهم.[٢]

والرجل المرفوض زواجه من قبل الأسر والفتيات بسبب فساد معتقده، أمام خيارات:

ـ أن يتزوج من هي على شاكلته من موافقة مذهبه الباطل.

ـ أن يغير ما هو عليه من طريق انتهجها، رفضه بسببها الناس، كما فعل عمران بن حطان الذي كان من أهل السنة وصار خارجيا، قال محمد بن سيرين: تزوج عمران بن حطان امرأة من الخوارج فكلموه فيها فقال: سأردها إلى الجماعة فصرفته إلى مذهبها. وكانت المرأة من عشيرته.[٣]

ـ أن يستمر على ما يرى ويعتقد ويزهد في الزواج.

ز- الزهد في الزواج رغبة في الحور العين بدلا عن الحور الطين[٤] :

قد يكون أحد الشباب في عنفوان شبابه وقمة نشاطه ومظنة استطاعة الباءة من قوة جسمية ومالية ونحوها مع العفة التامة والبعد عن الفواحش ولكنه لا يفكر في الزواج

---

[١] نثر الدر ج٤ص٢٢٨

[٢] سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٢٠٤

[٣] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ، حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠ ص ١٥٥

[٤] قال أبو سليمان: أقام داود الطائي أربعا وستين سنة أعزب فقيل له: كيف صبرت عن النساء؟ قال: قاسيت شهوتهن ثم إدراكي سنة ثم ذهبت شهوتهن من قلبي قال أبو سليمان فنرى أنه من صبر عنهن ثم إدراكه سنة لم يعرفهن حلالا ولا حراما إنه يكفى مؤنتهن. [الحلية ج ٧ ص ٣٤٩]

بل هو صارف النظر عنه وعند استطلاع جلية أمره واستكشاف كنهه يتضح أنه زاهد في الزواج عازف عنه لأنه يريد يقرن أسبابه ويربط حباله من نساء أخريات هن الحور العين ، بل يدعو غيره إلى احتذاء منهجه والسير على خطواته قال أبو نواس:

فاسم بعينيك إلى نسوة مهورهن العمل الصالح

لا يجتلي الحوراء في خدرها إلا امرؤ ميزانه راجح [1]

وإذا خوطب هذا الشخص في الزواج أعرض عن الكلام وصدف عن الإجابة أو أجاب بأنه يرغب في الحور العين وفي الأزواج المطهرة، ولذا فهو راغب فيهن ساع إليهن ومن ثم فهو يقيم الليل ويصوم النهار ويكثر من الذكر والتسبيح والاستغفار وقراءة القرآن رغبة في الظفر بهن والفوز بهن كما أنه راغب عن نساء الدنيا لأنهن جمعن بين الحشف وسوء الكيلة فهن قد جمعن بين القذر الحسي من حيض وبول ومخاط والسوء المعنوي فهن لا يخلين من البذاء والإيذاء دلاجات ولاجات ولذا فهو راغب في نسوة مطهرات من اللاتي لم يصبهن شمس ولا دخان، لم يعذبن في البلايا، ولم يكلمن في الرزايا، ولم تغيرهن الأحزان ناعمات لا يبأسن، خالدات فلا يمتن، مقيمات فلا يظعن، لهن أخبار يعجز عن نعتهن الأوهام.[2] من اللاتي يتغنين بأعذب الألحان وَيَقُلْنَ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلاَ نَبِيدُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلاَ نبأَسُ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلاَ نَسْخَطُ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ". [3]

---

[1] انظر البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٥١

[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٦ ص ٢٠٤ــ ٢٠٥

[3] تحفة الأحوذي للمباركفوري، كتاب صفة الجنة. باب ما جَاءَ فِي كَلاَمِ الْحُورِ الْعَين.حديث رقم: ٢٦٢

وعن عباد بن راشد عن ثابت البناني قال: كنت عند أنس بن مالك فقدم عليه ابن له من غزاة يقال له أبو بكر، فسأله ثم قال: ألا أخبرك عن صاحبنا فلان؟ بينما نحن في غزاتنا إذ ثار، وهو يقول: وأهلاه وأهلاه، فتزلنا إليه وظننا أن عارضا عرض له، فقلنا له: فقال: إني كنت أحدث نفسي أن لا أتزوج حتى أستشهد فيزوجني الله من الحور العين، فلما طالت علي الشهادة حدثت نفسي في سري إن أنا رجعت تزوجت فأتاني آت في منامي، فقال: أنت القائل إن أنا رجعت تزوجت؟ قم فإن الله قد زوجك العيناء، فانطلق بي إلى روضة خضراء معشبة فيها عشر جوار في يد كل واحدة صنعة تصنعها لم أر مثلهن في الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء؟ قلن: لا، نحن من خدمها وهي أمامك، فانطلقت فإذا بروضة أعشب من الأولى وأحسن، فيها عشرون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها ليس العشر إليهن في شيء من الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء؟ قلن: لا، نحن من خدمها، وهي أمامك، فمضيت، فإذا أنا بروضة أخرى أعشب من الأولى والثانية وأحسن، فيها أربعون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها ليس العشر والعشرون إليهن بشيء من الحسن والجمال، قلت: فيكن العيناء؟ قلن: لا، نحن من خدمها، وهي أمامك، فانطلقت فإذا أنا بقبة مجوفة فيها سرير عليه امرأة قد فضل جنبها عن السرير، فقلت: أنت العيناء؟ قالت: نعم مرحبا وذهبت لأضع يدي عليها، قالت: مه إن فيك شيئا من الروح بعد، ولكن فطرك عندنا الليلة، فما فرغ الرجل من حديثه حتى نادى مناديا خيل الله اركبي، فجعلت أنظر إلى الرجل، وأنظر إلى الشمس ونحن نصاف العدو، وأذكر حديثه، فما أدري أيهما بدر رأسه أو الشمس سقطت أولا. [1]

---

[1] الزهد لهناد ج١ص ٥٨ــ ٥٩، حديث رقم: ٢٥ /تهذيب الكمال ج ٣٣ ص٨٦ ــ٨٧ / الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٢ــ٢١٣

ح ـ معايشة تجارب زواج فاشلة :

ـــ إذا رأى الرجل مَن حوله من الأزواج الذين يعيشون في شقاء ونكد وصراع وخصام وسباب وضرب ولطم دائم فإنه يزهد في الارتباط والاقتران بواحدة تزيده عناء ، ويزيد هذا الأمر ما يعكسه له الرجال المتزوجون وما يحكونه من معاناتهم مع زوجاتهم ومن حسن معاملتهم لهن ومن سوء معاملة زوجاتهم لهم فهن قد فعلن وفعلن ويقص لـه أشياء حدثت قبل سنوات واعتذرت منها المرأة ولكنه مدون لها في دفاتره حافظ لهـا في ذاكرته وذلك لتذكيرها بها في كل وقت بمناسبة وبغير مناسبة وأنه فعل لها وفعـل مـن إكرام وتقدير ـــ وينسى الرجل أو يتناسى ما قام به نحوها من شتم وضرب وإسـاءة ـــ ولكن النساء كفورات للنعم جاحدات لها ويزيد الرجال ما شاءوا من صـفات سـوء يضيفونها على النساء، ويضيف أحدهم ما سمعه من حكايـات إلى مـا وقـع لـه مـن مشاهدات.

ومن ثم يزهد هذا الرجل في الزواج عندما يسمع هذا الحديث وأشـباهه عـن النساء زهدا تاما ويصرف عنه النظر صرفا كليا ويشمئز من النساء ويصاب بفرط تعميم فيحكم عليهن بأنهن مكمن السوء وبؤر الشر والفساد ومأوى للنكد وعدم راحة البـال وأن الواحدة منهن لو جاورت أهل النار لرفضوا جوارها وتأذوا بها أكثر مـن تـأذيهم بعذاب جهنم، وهي كما وصف أحد الأعراب امرأته قائلا:

أنت العتيقة في المكائد والأذى ... والقبح فيك طبيعة وعلامـــة
ما الحية الرقطاء أبشع منظـــرا ... منك وليس القرد أقبح قامـــة
الجان يهرب صارخا مسترحمـــا ... من سوء طبعك لا يريد إقامـــة
لو ترحلين إلى جهنم ساعـــة ... لخلت من السكان دون ملامـة

بل هي غل قمل يحيط بعنق الزوج، فلماذا يأتي الواحد بأفعى منهن تلدغه وبعقرب تلسعه فالأفضل والأحسن والأكرم له أن يعيش عزبا [١] فهو لا يطيق نفسه ولو وجد سبيلا لطلقها ولفارقها فكيف يطيق ويحتمل غيره وهذا الغير لم يعرف عنه خير قط.[٢]

وينسى هذا الرجل في تعميمه الذي أطلقه عن النساء أمه وخالاته وعماته وأخواته اللاتي إذا سئل عنهن فإنه يقول بملء فيه : إنهن أفضل النساء بل هن من حور الدنيا فهن صاحبات الجمال والعفاف والطهر فهن عرب[٣] حييات خرائد[٤] لا يخزي

---

[١] هذا إن كان عفيفا في نفسه وله دين وخلق وإن كان فاجرا فسيقضي وطره كيف شاء وأنى شاء ومتى شاء.

[٢] قال سفيان بن عيينة، قيل لإبراهيم بن أدهم: لو تزوجت؟ قال : لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت. [البداية والنهاية لابن كثير ج١٠ ص ١٣٨/ سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٩٢]

[٣] عُرُب – بضمتين – جمع عَرُوب، وهي المرأةُ الحَسْناء المُتحبِّبة إلى زَوْجها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عَرب}]

[٤] الخَرِيدَة والخَرِيد والخَرُود من النساء هي الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخَفِرة المتسترة قد جاوزت الإعْصار ولم تَعنَس، والجمع خرائد وخُرُد وخُرَّد. وصوت خَرِيدٌ: لين عليه أَثر الحياء؛ أَنشد ابن الأَعرابي:

من البيض، أما الدَّلُّ منها فكامل مَليح، وأما صَوْتُها فَخريدُ

والخَرَد: طول السكوت. والمُخْرِد: الساكت. وأَخْرَد: أَطال السكوت. أَبو عمرو: الخارد الساكت من حياء لا ذل، والمُخْرِد: الساكت من ذُلٍّ لا حياء. [القاموس المحيط، للفيروز آبادي باب الدّال. فَصْلُ الخَاء/ لسان العرب، مادة: خرد]

نثاهن أزواجهن، وأنهن أحق بقول الشنفرى الأزدي في وصف زوجته من زوجته، التي قال فيها:

أميمة لا يُخزي نثاها حليلها إذا ذكر النسوان عفّت وجلّت[١]

وأنهن من الخفرات اللاتي لم يفضحن آباءهن ولم يكسبن إخوانهن شنارا، وهن كما قال السليك بن السلكة :

من الخفرات لم تفضح أباها ولم ترفع لأخوتها شنارا[٢]

وأنهن من الممنعات النوار وأن الواحدة منهن لا تحسن السب وإن سبوها فهن كما أنشد أبو عبد الله بن لبانة الأعرابي :

كريمة يحبها أبوها مليحة العينين عذبا فوها

لا تحسن السب وإن سبوها[٣]

وأنهن قواعد بيوتهن فجدته ـ رحمها الله تعالى ـ لم تخرج من بيتها إلا ثلاث مرات في حياتها: واحدة من بطن أمها والثانية من بيت أبيها إلى بيت زوجها والثالثة من بيت زوجها إلى قبرها بل في الحقيقة مرتين فقط لأن الخروج الأخير وهو الذي كان من بيت زوجها إلى قبرها لم تقم به بل قمنا نحن به، عندما دفناها وواريناها جثمانها الثرى، فأخرجناها من بيتها إخراجا وأدرجناها في أكفانها إدراجا، وأولجناها في رمسها إيلاجا فرحمها ربي وأنزل شآبيب رحمته على قبرها غدوا وإدلاجا.

---

[١] انظر المفضليات للمفضل بن سلمة مفضلية رقم ٢٠ ص ١٠٨ ـ ١٠٩

[٢] انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢٠ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ (تحقيق : علي النجدي ناصف)

[٣] العقد الفريد ج٤ص٨٧

وهذا الرجل في حقيقة الأمر يكيل بمكيالين ويزن الأمور بمعيارين فيكتال مستوفيا عند ذكر أمه وأخواته وعماته وخالاته وقريباته ويطفف الميزان عندما يكيل للأخريات ويظن أنهن لسن من عالم نساء الدنيا التي هن من جنس أمه وقريباته بل هن من عالم الشياطين.

إما إن كان هذا الرجل عديم الدين والأخلاق فإنه يقضي وطره متى شاء وأين شاء وبمن شاء من النساء وذلك لفتح باب الفواحش في كثير من أقطار المسلمين التي لها دور بارز في ظهور العنوسة عند الفتيان، وذلك أن الشاب يستطيع أن يقضي شهوته وأن ينال ما يريد من غير كبير جهد ولا كثير عناء، فالنساء كثر وهن أشكال وألوان فيتقلب الشاب بين الخدينات والعشيقات فيخادن هذه حتى إذا ملها ذهب إلى غيرها هذا غير بائعات الهوى أو قد يمارس الاستمناء ويكتفي ويستغني به عن النساء.

ط ـ الزهد في الزواج تبتلا[1]:

قد يجنح فكر الإنسان فيرى أن العلاقة الزوجية مجرد شهوة بهيمية وقضاء وطر حيواني فيأنف عن التلبس بها ويزور عن مقارفتها ويرى أن مظاهر رقي الإنسان وتقدمه الحضاري وارتقائه في سموق المدنية النأي بهذه النفس عن هذه الأرجاس والقاذورات والارتقاء بها عن هذه الأدناس ومن ثم التفكير في العزوف عن عالم النساء والإعراض عنه

---

[1] بتل: البَتْل: القَطْع. وقالوا لمريم العَذْراء البَتُول والبَتِيل لذلك، والبَتُول من النساء: العَذْراء المنقطعة من الأَزواج، ويقال: هي المنقطعة إِلى الله عز وجل عن الدنيا. والتَّبَتُّل: ترك النكاح والزهدُ فيه والانقطاع عنه. [لسان العرب مادة بتل]

وقد يعزف الإنسان عن الزواج بنية التفرغ لطلب العلم،[١] أو يقلل من مقارفة النساء طمعا في نيل أمور من الدنيا يرى أن الانشغال بالنساء يصرفه عنها كأبي مسلم الخراساني فقد كان أبو مسلم الخراساني يقارف النساء في العام مرة واحدة فقط.[٢]

والتبتل سبب من أسباب العنوسة عند الذكور والإناث على السواء، وهو رفض الزواج بنية التقرب إلى الله تعالى ودفعه وعدم العمل به بحجة أنه من الأسباب التي تباعد عن الله عز وجل والعزوف عنه من الأسباب التي تقرب إلى الله عز وجل وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم التبتل واستنكر فعله وأنكر على من فعله واعتبره من صفات النصارى كما في حديث عكاف بن بشر : فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَكَّافُ بْنُ بِشْرٍ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَكَّافُ هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجَةٍ قَالَ لَا قَالَ وَلَا جَارِيَةٍ قَالَ وَلَا جَارِيَةَ قَالَ وَأَنْتَ مُوسِرٌ بِخَيْرٍ قَالَ وَأَنَا مُوسِرٌ بِخَيْرٍ قَالَ أَنْتَ إِذًا مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ وَلَوْ كُنْتَ فِي النَّصَارَى كُنْتَ مِنْ رُهْبَانِهِمْ إِنَّ سُنَّتَنَا النِّكَاحُ شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ أَبِالشَّيْطَانِ تَمَرَّسُونَ مَا لِلشَّيْطَانِ مِنْ سِلَاحٍ أَبْلَغُ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا الْمُتَزَوِّجُونَ أُولَئِكَ الْمُطَهَّرُونَ الْمُبَرَّءُونَ مِنْ الْخَنَا وَيْحَكَ يَا عَكَّافُ إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ أَيُّوبَ وَدَاوُدَ وَيُوسُفَ

---

[١] قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: تَفَقَّهوا قبل أن تُسَوَّدوا؛ قال شَمِر: معناه تعلّموا الفقه قبل أن تُزَوَّجوا فتصيروا أرباب بيوت فَتُشْغَلوا بالزواج عن العلم، من قولهم استاد الرجلُ، يقول: إذا تَزوّج في سادة. [لسان العرب مادة سود]

[٢] قال الذهبي، قال ابن خلكان: كان أبو مسلم: تأتيه الفتوح العظام فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة فلا يرى مكتئبا، وكان إذا غضب لم يستفزه الغضب ... إلى أن قال: وكان لا يأتي النساء في العام إلا مرة، يشير إلى شرف نفسه وتشاغلها بالملك. [سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٤٨]

وَكُرْسُفَ فَقَالَ لَهُ بِشْرُ بْنُ عَطِيَّةَ وَمَنْ كُرْسُفُ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ رَجُلٌ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بِسَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ ثَلَاثَ مِائَةِ عَامٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ثُمَّ إِنَّهُ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فِي سَبَبِ امْرَأَةٍ عَشِقَهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ اسْتَدْرَكَهُ اللَّهُ بِبَعْضِ مَا كَانَ مِنْهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَيْحَكَ يَا عَكَّافُ تَزَوَّجْ وَإِلَّا فَأَنْتَ مِنْ الْمُذْنِبِينَ قَالَ زَوِّجْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قَدْ زَوَّجْتُكَ كَرِيمَةَ بِنْتَ كُلْثُومٍ الْحِمْيَرِيِّ.[1]

وشنع النبي صلى الله عليه وسلم على من اعتبر ترك الزواج مقربا إلى الله تعالى بل أوضح أن العكس هو الصواب : فعن حُمَيْد بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.[2]

---

[1] مسند الإمام أحمد، مسند أبي ذر الغفاري، حديث رقم : ٢٠٤٧٧

قال الحافظ ابن حجر: والطرق المذكورة كلها لا تخلو من ضعف واضطراب. [انظر:الإصابة، ترجمة رقم: ٥٦٤٠]

[2] صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث رقم: ٤٦٧٥/ صحيح مسلم: كتاب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة، حديث رقم : ٢٤٨٧

وقد استأذن بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم في التبتل والرهبانية فلم يأذن لهم ، ولو ترك لهم النبي صلى الله عليه وسلم الحبل على الغارب لاختصى البعض منهم فقد قال سَعِيد بْن الْمُسَيَّبِ سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا.[1]

قال ابن حجر : قال الطبري : التبتل الذي أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به ، فلهذا أنزل في حقه ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[2] وقال الطيبي : قوله " ولو أذن له لاختصينا " كان الظاهر أن يقول ولو أذن له لتبتلنا ، لكنه عدل عن هذا الظاهر إلى قوله " لاختصينا " لإرادة المبالغة ، أي لبالغنا في التبتل حتى يفضي بنا الأمر إلى الاختصاء ، ولم يرد به حقيقة الاختصاء لأنه حرام ، وقيل بل هو على ظاهره ، وكان ذلك قبل النهي عن الاختصاء ، ويؤيده توارد استئذان جماعة من الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كأبي هريرة وابن مسعود وغيرهما ، وإنما كان التعبير بالخصاء أبلغ من التعبير بالتبتل لأن وجود الآلة يقتضي استمرار وجود الشهوة ، موجود الشهوة ينافي المراد من التبتل ، فيتعين الخصاء طريقا إلى تحصيل المطلوب ، وغايته أن فيه ألما عظيما في العاجل يغتفر في جنب ما يندفع به الآجل ، فهو كقطع الإصبع إذا وقعت في اليد الأكلة صيانة لبقية اليد ، وليس الهلاك بالخصاء محققا بل هو نادر ، ويشهد له كثرة وجوده في البهائم مع بقائها ، وعلى هذا فلعل

---

[1] صحيح البخاري، كتاب: النكاح، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّبَتُّلِ وَالْخِصَاءِ، حديث رقم: ٤٦٨٥/ صحيح مسلم: كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة، حديث رقم: ٢٤٨٩

[2] سورة المائدة آية ٨٧

الراوي عبر بالخصاء عن الجب لأنه هو الذي يحصل المقصود . والحكمة في منعهم من الاختصاء إرادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار، وإلا لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار ، فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية.[1]

قال النووي: قوله: (رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا) قال العلماء: التبتل هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعا إلى عبادة الله، وأصل التبتل: القطع، ومنه مريم البتول، وفاطمة البتول؛ لانقطاعهما عن نساء زمانهما دينا وفضلا ورغبة في الآخرة، ومنه: صدقة بتلة، أي: منقطعة عن تصرف مالكها. قال الطبري: التبتل: هو ترك لذات الدنيا وشهواتها، والانقطاع إلى الله تعالى بالتفرغ لعبادته. وقوله: (رد عليه التبتل) معناه: نهاه عنه، وهذا محمول على من تاقت نفسه إلى النكاح، ووجد مؤنه، وعلى من أضر به التبتل بالعبادات الكثيرة الشاقة. أما الإعراض عن الشهوات واللذات من غير إضرار بنفسه ولا تفويت حق لزوجة ولا غيرها، ففضيلة للمنع منها، بل مأمور به. وأما قوله: (لو أذن له لاختصينا) فمعناه : لو أذن له في الانقطاع عن النساء وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا؛ لدفع شهوة النساء، ليمكنا التبتل، وهذا محمول على أنهم كانوا يظنون جواز الاختصاء باجتهادهم، ولم يكن ظنهم هذا موافقا، فإن الاختصاء في الآدمي حرام صغيرا كان أو كبيرا، قال البغوي: وكذا يحرم خصاء كل حيوان لا يؤكل، وأما المأكول فيجوز خصاؤه في صغره، ويحرم في كبره.[2]

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٤٢ ــ ١٤٣

[2] مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٦ ص ٣٧٣٩

وترك الزواج مؤشر من مؤشرات العجز وعدم المقدرة عليه أو للفجور والتبتل من الرهبانية التي لا يقرها الإسلام، وعندما ترك الرهبان الزواج وانقطعوا في الأديرة للعبادة، وقعوا في شر الأشياء وأقبحها بعد الشرك بالله تعالى وهو الزنا ولنمثل على ذلك بالآتي:

ـ قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: قال أبو المهند يهجو أحدهم:

وأفجر من راهب يدعي ... بأن النساء عليه حرام

يحرّم بيضاء ممكورة[1] ... ويغنيه في البضع عنها غلام

إذا ما مشى غض من طرفه ... وفي الليل بالدير منه عرام

ودير العذارى فضوح له ... وعند اللصوص حديث الأنام

هؤلاء لصوص نزلوا دير العذارى ليلا،[2] فأخذوا القس فشدوه وثاقا، ثم أخذ كل رجل منهم جارية، فوجدوهن مفتضات قد افتضهن القس كلهن[1]

---

[1] المَكْرَةُ: الساقُ الغليظة الحسناء، والمَكْرُ حُسن خَدالَةِ الساقين. وامرأة مَمْكُورَةٌ: مستديرة الساقين. [لسان العرب، مادة: مكر]

[2] حدث الجاحظ في كتاب المعلمين قال: حدثني ابن فرج الثعلبي: أن فتيانا من بني ملاص من ثعلبة أرادوا القطع على مال يمر بهم قرب دير العذارى فجاءهم من خبّرهم أن السلطان قد علم بهم وأن الخيل قد أقبلت تريدهم فاستخفوا في دير العذارى فلما حصلوا فيه سمعوا أصوات حوافر الخيل التي تطلبهم وهي راجعة من الطلب فأمنوا فقال بعضهم لبعض ما الذي يمنعكم أن تأخذوا القس وتشدوه وثاقا ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار فإذا طلع الفجر تفرقنا في البلاد وكنا جماعة بعدد الأبكار اللواتي كن أبكارا في حسابنا ففعلنا ما اجتمعنا عليه فوجدنا كلهن ثيبات قد فرغ منهن القس قبلنا. [معجم البلدان ج ٢ ص ٥٢٣]

ـــ كان البابا يوحنا الثاني خليعا ماجنا اتهم من قبل أربعين أسقفا وسبعة عشر كردنيالا بأنه فسق بعدة نساء وأنه قلد مطرانية طودي لغلام كان سنه عشر سنين. ثم قتل وهو متلبس بجريمة الزنا مع امرأة وكان القاتل له زوجها.[٢]

وكانوا يئدون نتاج هذه العلاقات الآثمة فوقعوا في الشر من ناحيتين من ناحية الزنا وقتل النفس فقد وجد المنقبون عن الآثار في بعض الأديرة في فرنسا عظام أطفال وئدوا بعد ولادتهم. إذ الأمهات مشغولات بالعبادة أما الآباء فإنهم كالبهائم[٣] لا يعنيهم إلا فعل الرذيلة وليكن بعد ذلك ما يكون.[٤]

ولو ترك كل الناس الزواج وآثروا الرهبانية فمن يعمر الأرض؟ ومن يجاهد في سبيل الله ؟ ومن يسد الثغور؟ ومن يدفع العدو ؟ ومن يغيظ العدو ويقعد له بالمراصد؟ ومن يكون سببا في مكاثرة الأمم والمباهاة بها يوم القيامة؟ وجاء في الحديث : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنْ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا وَيَقُولُ تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[٥]

---

[١] عيون الأخبار لابن قتيبة المجلد ٢ ج ٢ ص ١١٢

[٢] معاول الهدم والتدمير ص٧٠

[٣] الغرض من العلاقة التناسلية عند البهائم حفظ النوع ولذا إذا لقحت الأنثى منها فإن الفحل لا يقربها ، قال رؤبة بن العجاج يصف علاقة الذكر بالأنثى بعد لقاحها:

فعف عن إسرارها بعد العسق ولم يُضِعها بين فِرْك وعَشَق

[٤] معاول الهدم والتدمير ص٧١

[٥] مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، حديث رقم : ١٢١٥٢

بل الزواج من العبادة والنسك، قال طاووس بن كيسان اليماني رحمه الله تعالى: لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج.[١]

وقال المروزي: قال أبو عبد الله [٢] ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء، النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أربع عشرة ومات عن تسع ، ولو تزوج بشر بن الحارث لتم أمره، ولو ترك الناس النكاح لم يكن غزو ولا حج ولا كذا وكذا ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح وما عنده شيء ومات عن تسع، وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهو على غير الحق، ويعقوب في حزنه قد تزوج وولد له، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: حبب إليّ من دنياكم النساء، قلت له: فإن إبراهيم بن أدهم يحكى عنه أنه قال: لروعة صاحب العيال فما قدرت أن أتم الحديث، حتى صاح بي وقال: وقعت في بنيات الطريق انظر ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قال: بكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه الخبز أفضل من كذا وكذا ، أين يلحق المتعبد العزب.[٣]

وبحمد الله ظاهرة رفض الزواج لسبب التبتل اختفت وأصبحت ظاهرة تاريخية.

ي ـ الزهد في الزواج اكتفاء بالتجارب الزوجية السابقة :

قد يعرض الفتى عن الزواج لخوضه تجارب زوجية سابقة، قد تكون فاشلة أو غير فاشلة، ولنر الاثنين:

---

[١] سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٤٧ ــ ٤٨

[٢] الإمام أحمد بن حنبل

[٣] انظر روضة المحبين ص ٢١٤/ الآداب الشرعية ج ٢ ص ٢٦٢

ـ الزهد في تكرار تجربة زواج أخرى :

قد يقوم الفتى بتجربة زواج تكون نتيجتها أنها انتهت بموت الزوجة أو فراقه لها، فيزهد في الزواج ليس من باب الوفاء للمرأة، ولكنه لا يريد تكرار تجربة الزواج مرة أخرى، كما فعل ذلك عز الدين عبد العزيز بن وداعة بن منصور بن حمد بن وداعة الحلبي: قال عنه ابن العماد: لم يخلف ولدا ولا رزقه الله في عمره ولدا، فإنه لم يتزوج إلا امرأة واحدة في صباه ثم فارقها بعد أيام قلائل.[1]

ـ الفشل في تجارب زوجية سابقة:

قد يتزوج شاب من الشباب امرأة من النساء فلا يكتب لزواجهما النجاح وتذيقه مرارات وغصصا لا تزل من حلقه كلما تذكرها ـــ ويرى الرجل أنه لا غبار عليه وأن السوء والعيب في زوجته ـــ فيسارع لفصم عرى الزوجية التي لم توفق ويبدأ البحث عن زوجة أخرى آملا أن تكون له بلسما لشفي جراحه التي أوجدتها الزوجة السابقة ونكأتها مرارا بلسانها وحكتها حتى أدمتها بفعلها، ويرجو من الزوجة الجديدة أن تكون ضمادا يواسي مصابه ، وقلبا رحيما يغسل أحزانه، ويدا حانية تكفكف دموعه، وتذهب أحزانه فيختار زوجة بعد طول بحث وتنقيب وتأن وصبر وثناء من كثير ممن سألهم عنها، ولكن سوء حظه ونكد طالعه يوقعه في زوجة الزوجة الأولى خير منها فهي زوجة شرسة الطباع سليطة اللسان كثيرة الصياح دائمة النباح منتنة الرائحة فيصاب بحسرة وينقلب فكره رأسا على عقب تجاه النساء فيظن أن كل نساء الدنيا بهذا السوء ـــ الذي وجده وأحسه بعد التي واللتيا [2] زوجتيه السابقتين ـــ وأن الأسر القائمة من حوله كلها قائمة على النكد والشقاء وأن ما يظهر منها من ضحك ومبادئ سرور هو من باب

---

[1] شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٣٢

[2] انظر : مجمع الأمثال للميداني ، ج ١ ص ١٢٥ ـــ ١٢٦

التجلد فهي لا تريد أن تفشي سرها لغيرها من الأقارب والأباعد خوفا من شماتتهم لـذا فهي تتجلد وتصبر وتتظاهر بالمرح والسرور لمن حولها، قال أبو ذؤيب الهذلي :

وتَجَلُّدِي للشامِتِينَ أُرِيهِمُ أنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ[1]

أما حقيقة الأمر فخلاف ذلك تماما.

ومن ثم يعزم هذا الرجل على عدم الزواج وإسقاط النساء من دائرة تفكيره فيعزف ويعرض ويشيح بوجهه ويصرف فكره وذهنه عنهن إلى أشياء أخرى يرى أنها قد تنفعه في حياته التي أضاع جزء كبيرا منها مع زوجتيه، فيؤثر أن يعيش عزبا يكيف حياته على حياة ينظمها حسب ما يريد ولا يجمع إليه امرأة تنكد عليه حياته كما نكدت عليه الزوجتان السابقتان حياته وتورق ليله كما أرقتاه السابقتان وتقض مضجعه كما أقضت السابقتان مضجعه وتقلق راحته كما أقلت راحته زوجتاه السابقتان اللتان أذهبتا منامه وزادتا أحزانه وأكثرتا أسقامه وأشابتا رأسه قبل أوانه وبيضتا شعره بعد سواده وسودتا وجهه بعد بياضه، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين [2] والكيس من وعظ بغيره والشقي من اتعظ بنفسه فكان هو أعظم الناس جهلا وأبينهم عجزا لأنه وعظ بنفسه مرة فلم يتعظ فعاود الكرة بعد المرة فأخفق فلا يريد أن يخوض تجربة ثالثة ففي التجربتين ما يكفي ويزيد بل ينصح المقدمين على الزواج أن يكفوا عنه فالنساء كلهن هموم وغموم.

ويمضي في أمثال هذا الفكر وأشباهه، والذي لو عمل به كل المخفقين في أمر زواجهم، لبارت نساء كثر وصار كثير من الرجال عازبين.

---

[1] لسان العرب. مادة : ضعع

[2] حديث لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والإمام أحمد وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنه.

وهذا السبب خلافه مع سبب معايشة تجارب فاشلة أن هذه تجارب شخصية طبقها ومارسها الفتى أما معايشة التجارب الفاشلة فلاحظها وأحسها من غيره.

ثانيا: الزهد في الزواج عند الفتاة:

أ ـ الزهد في الزواج لمعايشة تجارب زواج فاشلة :

قد تعزف الفتاة عن الزواج بسبب ما رأته من إخفاقات زواج لصيقة بها كأمها وأختها وخالتها وعمتها. لأنهن من نسوة صلائف[1] مفركات عند أزواجهن، فأمها لم تحظ عند زوجها الذي هو والد هذه الفتاة العازفة عن الزواج الزاهدة فيه، فوالدها كان ولا يزال يسيء لأمها أمامهم ـ وما خفي أعظم ـ ولا يعطيها أدنى ذرة من الاحترام والاعتبار بل هو على النقيض من ذلك فهو يقوم بإهانتها وإذلالها أمام أبنائها من غير مراعاة لها ولا اهتمام بشعورهم بل قد ضربها وشتمها واستأسد عليها وبخاصة عند وفاة أبويها وتفرق أخوتها، قال طرفة بن العبد البكري:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقِي صولةَ المستنفر الحامي[2]

وكذلك خالتها صلفت عند بعلها، وأختها فركها زوجها فطلقها، وعمتها أبغضها حليلها فعلّقها.

ويزيد هذا الأمر ثباتا عندها ورسوخا لديها ما تسمعه من صديقاتها ولداتها من مشاكل يعانينها في بيوتهن وأن صديقتها فلانة تزوجت وأن زوجها قد أهانها وشتمها

---

[1] صَلِفت المرأة صلفا ، فهي صلفة : لم تحظ عند قيمها وزوجها وجمعها صلائف.[لسان العرب ج ٤ ص ٢٤٨٣]

[2] كتاب جمل من أنساب الأشراف لأحمد بن يحي بن جابر البلاذري حققه وقدم له : د. سهيل زكار و د. رياض زركلي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ج ٣ ص ٣٤٦ .

وصديقتها الأخرى قد تزوجت فضربها زوجها وهي لم تزل بعد في ثياب زفافها وصديقتها الثالثة مكثت مع زوجها شهرا واحدا وطلقها، فتنشأ الفتاة في هذه الأجواء المفعمة بالبغض المليئة بالكره، فتعتقد هذه الفتاة المسكينة أن الحياة الزوجية كلها نكد ومشاكل أقلها إهانة وعدم إكرام يزيد وينمو إلى سباب وشتم ثم يتطور إلى ضرب ولطام ينتج عنه شجاج وجروح منتهيا بطلاق سريع. فتصاب بفرط تعميم ، تبغض بمقتضاه جنس الرجال، وتظن بهم السوء، وأنهم لا أمان لهم ، وذلك نتيجة الدعاية السيئة من قبل أمها وأختها وعمتها وغيرهن من النساء، اللاتي لم يوفقن في حياتهن الزوجية، فرمين كل اللوم على الرجال، وخرجن منه أنقى من مرآة الغريبة،[1] فترى هذه الفتاة المسكينة أن إجماع هؤلاء النسوة على انتقاص الرجال، دليل على سوء عنصرهم، وأنهم مصدر القلق لجنس النساء، فتزهد فيهم، لأنهم مستأسدون على النساء الضعيفات ظالمون لهن.

ومن ثم تنصرف البنت عن الزواج وترفض المتقدمين لطلب يدها، مؤثرة السلامة والعافية، لأنها أفضل لها أن تجلس بكرا، من أن تتزوج وتفشل في زواجها كما فشلت أمها وأختها وعمتها وخالتها وقريباتها، وهند ودعد وغيرهن ممن تعرف من النسوة المطلقات والمعلقات وممن سمعت عنهن ، وهن أكثر حنكة منها وتجربة وفشلن مع ذلك، ففشلها هي مضمون لا مرية فيه ولا شك، فهي غرة ساذجة بلهاء، ولا تريد أن تعاني من هذا الزواج معاناة نفسية تنتهي بطلاقها من هذا الوحش الكاسر، فتصير مطلقة بعد مدة من الزمان طالت هذه المدة أو قصرت، وتكون لا هي بقيت بكرا، ولا هي حظيت في

---

[1] قيل: أنقى من مرآة الغريبة. يعنون التي تتزوج من غير قومها، فهو تجلو مرآها أبدا لئلا يخفى عليها من وجهها شيء. [مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٤٠٧]

زواجها. فهي تفضل أن تكون عانسا من أن تكون مطلقة أو في عصمة رجل يهينها ويشتمها ويضربها.

ب ـ الزهد في الزواج لعظم مسئوليته:

قد تزهد فتاة في الزواج لعظم مسئوليته، ولظنها العجز عن الوفاء به، فيغضب عليها زوجها ويترتب على هذا الغضب عقاب في الآخر ودخول النار فتؤثر هذه الفتاة السلامة التي لا تعدلها شيء وتعزف عن الزواج وتمتنع عنه، رغم أن الفتاة تكون راغبة في الزواج والاكتناف بظله والاحتماء بحماه ولكنها راغبة عن ما يترتب على المسئولية من عقاب وحساب لخشيتها وخوفها أن تقصرّ فيها، وقد سألت إحدى النساء النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر، فبين لها عظم حق زوجها عليها، فظنت أنها لا تستطيع الوفاء بذلك فامتنعت عن الزواج، وكان أبوها قد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستعديا له على ابنته التي رفضت الزواج وعزفت عنه، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة أبيها فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن حق الزوج على الزوجة فأجابها فأصرت على رفضها للزواج، فعن أبي سعيد قال: أتى رجل بابنته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن ابنتي هذه أبت أن تتزوج. فقال: أطيعي أباك. قالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته. فقال: حق الزوج على زوجته: لو كانت به قرحة فلحستها، أو انتثر منخراه صديدا أو دما ثم ابتلعته، ما أدت حقه. قالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج أبدا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تنكحوهن إلا بإذنهن.[1]

---

[1] الجامع الصغير، للسيوطي، حديث رقم: ٣٧٣٩ ، وقال: رواه البزار بإسناد جيد حسن، رواته ثقات مشهورون، وابن حبان في صحيحه. وهو: صحيح

فعلى الفتاة أن تعلم أن حقوق الزوج ليست مستحيلة ولا بهذه المشقة التي تتصورها وإلا لم يوجبها الله على الزوجات فهي أسهل مما تتصور، وعلى الأسرة التي لها فتاة مثل هذه أن توضح لها أن الله يجزي على اجتهاد المرء ونيته فعليها أن تسعى لنيل رضاء زوجها والقيام بحقوقه وسؤال الزوج عما يحب فتفعله وما يكره فتجتنبه وسؤال الله التوفيق على ذلك فإن رضي عنها زوجها فبها ونعمت وإن تعنت ولم يرض عنها فإن الله لا يؤاخذها بتعنته، والله أعلم.

ج ـ الزهد في الزواج لمشاهدة أخلاقيات الأزواج :

قد يكون من سبب زهد الفتاة في الزواج أن تكون قد رأت أباها يخون أمها فيسافر السفرات المريبة إلى البلاد المريبة ويتأخر في مجيئه إلى البيت إلى منتصف الليالي وتكون الأم منتظرة له فيأتي ويعرض عنها هذا إن لم يفتعل مشكلة معها بل تتصل به خدناته وعشيقاته في البيت ويسألن عنه بل أحيانا يأتي بإحداهن على فراش زوجته عند غيابها عند أهلها أو نحو ذلك من الأمور التي تجعلها تخرج من بيتها فيستغل خلو البيت فيأتي بإحداهن فترى البنت آثار ما خلفته هذه الفاجرة مع أبيها.

كما أنها ترى أخاها يخون زوجته أو يسافر خارج البلاد ويسير على نمط أبيه ومن شابه أباه فما ظلم. كما أن زوج أختها لا ينقص عنهما خبثا وعرامة ولم تنج هي من شره فنظراته مريبة نحوها بل قد تجرأ مرة فلمسها وثانية روادها فيها ولاذت هي بالصمت استحياء واحتراما لمشاعر أختها وحفاظا على عشها ، كما أنها تسمع من صديقاتها حديثهن عن مغامرات آبائهن الغرامية وكيف أن والدة إحداهن قد ضبطته مرة ومرات وفي كلها تعفو عنه فتظن هذه الفتاة أن كل الرجال على هذه الشاكلة فتصاب بفرط تعميم وكراهية نحو الرجال وأن كلهم فاجرون فاسدون وأن ديدنهم الفسق وتعدد الخليلات والعشيقات وعدم القنوع بواحدة وأن زوجها المقبل لن يكون أفضل من أبيها

وأخيها وزوج أختها وممن تعرف من الفسقة ومن ثم تزهد في الزواج وتفضل بقاءها عانسا ولا تفكر في أن تتزوج إنسانا تخلص له ويريدها خالصة له من دون الناس ويكون هو كالجمل المغتلم وسط النياق.

٥ ـ الفساد الخلقي :

أولا: الفساد الخلقي عند الفتيان :

ـ قد يعتقد الشاب الفاسد أخلاقيا أن كثرة الفاجرات من النساء، المتقلبات بين الأخدان والعشاق، اللاتي ينطبق على الواحدة منهن قول أبي نواس :

ومظهرة لخلق الله ودا وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه في الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام[1]

يعتقد الشاب أن أمثال هؤلاء هن أكثر النساء ، فيصاب بفرط تعميم فيرى أن جنس النساء يغلب عليه الفجور، وأنهن غير مأمونات كما عناهن القائل :

لا تأمنن أنثى حبتك بودها إن النساء ودهن مقسم
اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم[2]

ومن ثم يزهد في الزواج لأجل هذا ، لاعتقاده فجور اللاتي لم يعشارهن من النساء، ومن ثم يقول: لماذا يأتي بواحدة منهن تأتيه بنغل يولد على فراشه ويتربى تحت سمعه وبصره وينفق عليه من ماله، وهو غير مطمئن عن مصدره ومن هو أبوه.

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٦٩٨

[2] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ٥٢

ـــ قد يكون الشاب فاسدا خلقيا فلا يفكر في الزواج وتحمل تبعاته من إنفاق وتوفير سكن وتوفير بيت ومسكن وملابس والقيام بعلاج الزوجة إن مرضت والقيام بنفقات ولادتها وعقيقة أطفالها وتربيتهم ـــ وكأن هؤلاء الأطفال أطفالها وحدها ـــ فيرى أن أفضل شيء له أن يكون فحلا يتقلب بين أحضان الخليلات ويستبدل بالمومسات [١] والقحاب[٢] وهن في رأيه لسن فاجرات مأوى للصادر والوارد من الرجال الذين يقضون شهواتهم ويفرغون نزواتهم فيهن وأنهن موطن للأمراض وبؤرة للوباء فهذه الصفات السابقة لا تنطبق عليهن بل تنطبق على المرأة الداعرة التي لها بيت وتأخذ رسما من الغاشين لها الواطئين لفراشها ولكن هذه عشيقة، أو بالأحرى يمكنك أن تقول : هي زوجة حقيقة إذ لا فرق بينها وبين الزوجة إلا أغلال وإصر هذه الورقة المكتوبة بل هي تفوق الزوجة الشرعية إذ أن الزوجة تقيدك بعدة قيود ، وتكبلك بجملة من التكبيلات وتسلسلك بما لا يحصى من السلاسل والأغلال المتعددة التي أهونها النفقة وأنها تكون عليك شرطيا لا يمل من مراقبة حركاتك وعد أنفاسك ومحاسبتك على الصغيرة والكبيرة وحتى راتبك الذي تشقى فيه بعرق جبينك تسألك عنه ، وأين صرفته وأين ضاع منك؟ أما هذه فعفيفة نظيفة ظريفة طاهرة نقية تشاطرك حياتك وتقاسمك أحزانك تقسو عليها متى أردت وتضربها متى شئت ، وتأتيها أنى وكيف شئت ، ومتى أردت وفي أي مكان تقضي حاجتك معها ففي بيت أحد الأصدقاء أو على قارعة الطريق أو على متن سيارة،

---

[١] الوَمْس: احْتِكاك الشيء بالشيء حتى يَنْجَرد؛ وأَوْمَسَ العَنَب: لانَ للنُّضْج. وامرأَةٌ مُومِسٌ ومُومِسَةٌ: فاجرة زانية تميل لُمُرِيدِها كما سميت خَرِيعاً من التَخَرُّع وهو اللين والضعف.والمُومِسات: الفواجر مجاهرة، ويجمع على مَيامِس ومَواميس.[لسان العرب، مادة: ومس]

[٢] قيل للبَغِيِّ قَحْبة، لأنها كانت في الجاهلية تُؤْذن طُلاّبَها بقُحابها، وهو سُعالها. ابن سيده: القَحْبة الفاجرة، وأَصلُها من السُّعال، أَرادوا أَنها تَسْعُلُ، أَو تَتَنَحْنَحُ تَرمُزُ به.[لسان العرب: مادة: قحب]

على حين غفلة من الرقباء وخلوة من الناس ، أما الزوجة الشرعية فإنك تكون حذرا في تعاملك معها وفي إتيانك لها خائفا منها فهي تشكوك في أقل شيء إلى أبيك وأبيها وإلى أمك وأمها وإلى أخيك وأخيها وإلى أختك وأختها وتفكر جيدا قبل الاستغناء عنها وفراقها أما الأخرى فلا تشكوك لأحد بل أحيانا تفرح إذا أغلظت عليها أو شتمتها أو ضربتها لأنها ستشعر بشيء من الاعتبار وأنها صارت مهمة لديك ولا يربطك بها شيء فإذا استغنيت عنها ومللتها تركتها وفارقتها فراق غير وامق وذهبت إلى غيرها وهن كثر ينتظرن أمثالك.

أما الزوجة الشرعية فإنها غيورة ومتكبرة ومتعجرفة تعرف أن لها حقوقا عليك ستأخذها منك قصرا وستنزعها عنك رغما، من كفالة وحضانة إن كان لها أولاد ومعجل صداق ومؤخره ستأخذه منك في حالة وجود أولاد أو عدمهم وهي كفورة جاحدة للنعم تنسى أنها قد ظفرت بك بعد طول عنوستها وامتداد أيمومتها.

وأنت يوجد غيرك من السابقين ممن أدرك هذه الحقيقة فقد أوصى بعضهم بالزهد في الزواج وإتيان القحاب[1] بل تجاوز بعضهم ذلك فأمر بتزوجهن والزهد في العفيفات الشريفات.[2]

---

[1] كان صديق لابن الحجاج له ابن يكنى أبا جعفر ،وكان مشتهرا بالقحاب،فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فكتب إليه [معاهد التنصيص ج ٣ ص ١٩٠ ــ ١٩١] :

إياك والعفة إياكا إياك أن تفسد معناكا

أنت بخير يا أبا جعفر ما دمت .....

[2] استشار بعضهم أبا الشمقمق بمن يتزوج فقال له: تزوج بقحبة فقال: ما هذا؟ فقال: اسمع القحبة تكون أملح وأحرى بأن تكون عالمة بما يحبه الرجال، وتأخذ نفسها بالتنظيف، ومتى قلت يا زانية لم

وينمق له هذا القول وأمثاله ويوشيه له شياطين الجن والإنس التي توحي بعضها إلى بعض زخرف القول غرورا وينسى هذا الشاب أنه بكلامه هذا يقنن للفساد ويستحله.

ثانيا: الفساد الخلقي عند الفتيات :

الفساد الخلقي عند الفتاة من أعظم أسباب عنوستها وذلك لمجيء النهي عن تزوج الزانيات وعن إنكاح الزناة.

إن الفتى الذي يرى أرتال المنحلات أخلاقيا من الفتيات وأسراب البغايا يصيبه زهد وعزوف عن الزواج منهن [1] إن لم يعزف عن الزواج ويصاب بفرط تعميم وأن جميع النساء كذلك فلماذا يأت بواحدة منهن ويعقد عليها وينفق عليها وتأتيه بأنغال من غيره يولدون على فراشه ، ففلانة وفلانة من المتزوجات كلهن منحرفات الأخلاق وينسى هذا الفتى أو يتناسى أن أمه وخالاته وعماته اللاتي هن في نظره أشرف من يمشي على ظهر البسيطة وأطهر من مشى بين لابتي المدينة ينسى أنه يدخلهم بفرط تعميمه في دائرة الفساد والفجور.

وإن الفتاة التي فرطت في نفسها وغرر بها أحد الذئاب ومكنت أحد الفاجرين من النيل منها، لا يتزوجها أحد يعلم فجورها، وتأنف هي إن كانت قد فقدت عذريتها

تأثم، ثم إنها تجتهد أن لا تأتيك بولد، ثم إنها تعرف أنك تعرفها فلا تتكبر. (محاضرات الأدباء ج٢ص٢٣٧)

[1] عرضت الفضائية الليبية في شهر فبراير من عام ٢٠٠١ م صورة فتاة فرطت في نفسها، وذكرت كيف أن خطيبها غرر بها، فمناها بالزواج ودلاها بغرور فنال منها ثم هجرها بعد ذلك قائلا لها: إنه لا يريد أن يقترن بفاجرة، وكانت الفتاة تسفح دموعا غزارا وكان تقطع حديثها من بكائها، رغم أن المخرج حرص على عدم وضوح صورها وتشويهها.

من فضيحة نفسها وأهلها فترفض الزواج وتعزف عنه: ذكر ابن الجوزي أن فتاة كانت تصرع كلما جاءها خاطب، فذهبوا بها إلى شيخ ليقرأ عليها، ولاحظ الشيخ اضطراب الفتاة، فطلب من أهلها الخروج حتى يعرف حقيقة أمرها، فخرجوا، فقالت له الفتاة: استرني يا شيخ سترك الله، أنا لي عشيق وأراد أهلي أن يزوجوني لابن عمي، وقد حدث ما حدث بيني وبين هذا العشيق، فإذا وافقت على الزواج من ابن عمي انكشف أمري وفضحت بين الناس، فقال الرجل، سأسترك ولكن تعاهديني على التوبة ففعلت، فدعا أهلها وقال لهم: هذه البنت متلبس بها، وداخل فيها مارد، وقد تحدثت معه، وأمرته بالخروج، فوافقني على ذلك، ولكنه أخبرني أن المكان الذي سيخرج منه سيتلف، فإن خرج من عينها تلفت، وإن خرج من رجلها شلت، وإن خرج من فرجها ذهبت بكارتها ، فاختاروا أي مكان يخرج منه، فاختاروا الخروج من فرجها، فدخل على الفتاة ثم خرج بعد فترة وقال لهم: لقد خرج المارد منها وشفيت البنت ولكن ذهبت بكارتها، فعلم أهلها بذلك، ثم تزوجها ابن عمها.

وفي الجملة ففساد الفتاة يتسبب في عنوستها هي وفي عنوسة غيرها من بنات جنسها وبخاصة صديقاتها وقريباتها لكونها سبة عليهن، وقد يتسبب فساد الفتاة في عنوسة من قارف معها الفاحشة لاعتقاده أن كل الفتيات على هذه الشاكلة وأنهن متصفات بهذه الصفة صفة الفجور والفساد.

لأنه إذا حدث أن قارفت إحدى الفتيات الفاحشة[1] وعرف زناها وشهر بين القاصي والداني فإن هذا الأمر يكون سببا في عنوستها، وعزوف الرجال عنها، حتى الزناة الذين زنوا بها فإنهم لا يتزوجونها لأنها تسقط في أعينهم، أما الملتزمون من الرجال فإنهم لا

---

[1] نسأل الله تعالى أن يحفظنا وأن يحفظ نساءنا وبناتنا وأخواتنا ونساء المسلمين.

يجرؤن على ذلك ولا يقدمون عليه استجابة لأمر الله عز وجل الذي حرم نكاح الزانيات من النساء وإنكاح الزناة من الرجال فقال ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١]

وامتثالا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْكِحُ الزَّانِي الْمَجْلُودُ إِلَّا مِثْلَهُ.[٢]

فعلى الأسر الحفاظ على بناتها لأن زواجهن مرهون ومتوقف على عفتهن وبرء ساحتهن وبعدهن عن الريبة والفاحشة، وإذا حدث شيء من الفتاة فعلى الأهل ستر هذا الأمر وعدم إشاعته وإماتته بهجره، مع تشديد النكير والإغلاظ على الفتاة.

وكان في السودان قبل تطبيق الشريعة الإسلامية مواخير للخمر وبيوت للبغاء، يرتادها طلاب الفواحش والخنا، وكان بها مجموعة من البغايا اللاتي يبعن شرفهن نظير دراهم معدودة ، ولهن بيوت معلومة فجاء مجموعة من أهل الخير فجلسوا على مرأى من باب أحد بيوت البغاء فإذا جاء أحد يريد الدخول ورأى هؤلاء الناس فبعضهم يرجع القهقرى حياء وبعضهم يتقدم نحو البيت ومن يتقدم ويجرؤ على الدخول ينادونه ويتكلمون معه وينصحونه بأن هذا الأمر حرام وهل ترضاه لزوجتك ولأمك ولأختك وقريبتك فيرجع فلما طال الأمر على هؤلاء البغايا وانصرف الراغبون فيهن عنهن حياء واستجابة لنصح الناصحين خرج مجموعة منهن وأتين لهؤلاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر وقلن لهم : إننا فرطن في أنفسنا وقارفن هذه الفواحش والموبقات وطردنا أهلنا ولا

---

[١] سورة النور آية ٣

[٢] سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب قوله تعالى ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ حديث رقم ١٧٥٦

يرغب أحد في الزواج منا فإما أن تتزوجونا ونترك الزنا ونتوب إلى الله عز وجل وإما أن تنصرفوا عنا ، وتدعونا وشأننا.

٦ ـ الغلو في اختيار شريك الحياة

أولا: إصرار الفتى على لون أو جنس أو شكل معين من الفتيات :

لكل رجل صفات يضعها في ذهنه يرى أنه يجب توفرها في شريكة حياته المرتقبة، وأن تتحلى بها قسيمة حياته القادمة، من جمال وأدب، فهي امرأة عَرِيضةٌ أَرِيضةٌ [1] وأنها حصان بكر غرة صغيرة، وما يجب أن يتوفر فيها من مكانة اجتماعية في مجتمعها وذلك لمكانة أهلها فهم ليسوا من الرجرجة والدهماء الذين يغلون الأسعار ويكدرون الماء ويزحمون الطريق، ولا من الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا ولا من الذين لا يستشارون وهم شهود، بل هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ، ويبدأ البحث والانتقاء ويدقق في الاختيار والاستقصاء في هذا الشأن وقد تكون هذه الصفات هاجسا لدى الفتى فهو يقرأ دائما حولها ويكثر الحديث عنها ويسطر ما قرأه في دفاتره دلالة على حرصه عليها وهي تزيد بازدياد عمره وتجربته وقراءاته فهو يريد امرأة لونها كذا وعمرها كذا وطولها كذا ومستوى تعليمها كذا ويدقق في أوصاف زوجته المرتقبة بما يجود له به فكره وذهنه المتوقد وبما تسعفه به قريحته الوقادة فهو يرى أنه ينبغي أن يكون صدرها كذا وبطنها كذا ورجلاها وقدماها وساقاها وقد يضيف إليها أوصافا وشروطا حسية يستحي الإنسان من ذكرها لأنها لا يسأل عنها صراحة من أمور لا يطلع عليها إلا الأزواج أو خواص النساء مما يكون ما بين السرة والركبة وما بين الفخذين ، فيبدأ البحث على هذا الأساس فإن ظفر بواحدة يرى أنها تدخل في منافسة ما وضعه من شروط وأنها قد تتجاوز

---

[1] امرأة عَرِيضةٌ أَرِيضةٌ: وَلُود كاملة. [لسان العرب، مادة: عرض]

قنطرة معاينته ، يبدأ في تطبيق ما وضعه من شروط عليها فيرى أنها قد اجتازت مسألة الجنس والمنزلة الاجتماعية واللون والعمر والجمال إلا أنها سقطت في مسألة الحجم فحجمها لم يناسبه فهي ضخمة أكثر من اللازم وهذا العهد هو عهد الرشاقة التي هي للغزلان وليس عهد السمن والبدانة التي هي للبقر ، فهي قد سقطت في شرط من شروطه فيسقطها من حساباته ويبدأ البحث عن غيرها ويقع اختياره على غيرها فيضع عليها مقاييسه فتجتازها إلا أنها تسقط في صفة واحدة فيسقطها كذلك من ذهنه ويبدأ البحث عن غيرها وهكذا دواليك ويكون هذا الشاب غارقا في هذا الهوس وهذه الدوامة من البحث والاستقصاء فترة من السنوات ولا يدري هذا المسكين أن صفاته هذه من صفات نساء الجنة فليسع لها وليعمل من أجلها، ولو علم هذا المسكين أن نساء الدنيا تصيب الواحدة منهن صفة حسنة واحدة وتخطئها صفتان وأكثر لقنع بما وجد.

وقد يقع اختياره على فتاة يرى أنها قد وافقت شروطه واجتازتها وعند دخوله بها يجد جل هذه الشروط التي وضعها متوفرة فيها فيحمد الله عز وجل على ذلك أو قد يجد زوجته على النقيض مما أراد وعلى عكس ما أمّل وعلى الضد مما أحب ، فيحاول أن يتعايش مع هذا الوضع ويرضى به ويمسكها أو قد يرفض هذا الوضع فيؤثر فراقها والبحث عن غيرها فمدمن القرع للأبواب حري أن تفتح له وذو اللب سيحظى بما أراد فعليه البحث والاستقصاء فالنساء كثر وسيجد واحدة ستوافقه، قال محمد بن يسير:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا[1]

وليس المقصود من هذا أن يقع الذي يريد الزواج على أي طرف ويختار أي امرأة وذلك بأن يسمي الله وأن يأخذ بيمينه ومما يليه من النساء ، فالاختيار مهم جدا وهو أساس

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٧٥٦

لدوام استمرار الحياة الزوجية بين الزوجين ، ولكن الذي نعترض عليه أن يكون التدقيق في الصفات الحسية والمعنوية هاجسا ومرضا ملازما للذي يريد أن يتزوج.

ثانيا: وضع صفات خيالية ينبغي توفرها في الزوج المتقدم:

بعض الفتيات لا يعشن واقعهن فهن يرغبن في جنس معين من الرجال فإذا تقدم للواحدة منهن غيره رفضته ولم توافق عليه وصرفته بحجة أن ذلك ليس من شروطها ولا من الذين تفكر فيهم ، فهي تضع صفات في مخيلتها في أن المتقدم لها لابد أن يكون شابا جميلا قسيما وسيما، غرا طريرا، غنيا متعلما، حسن الأخلاق، له مركز اجتماعي مرموق ومن أسرة ذات حسب ونسب وإن حدّث أن تقدم لها شاب تنقصه كثير من الصفات التي وضعتها لفارس أحلامها، وخاطب يدها، فإنها لن تتردد في رفضه بل سبه أحيانا، أملا منها في الحصول على بغيتها المنشودة فسوقها قائمة، وجمالها أمنية الخطاب، فمكانة والديها وصغر سنها ودرجتها العلمية وغيرها من العوامل تشفع لها في حياتها، وإن تقدم لها خاطب آخر لم ترضها صفاته فإنها ترفضه كذلك، فترفض هذا وتجبه ذاك بما يكره، وتدفع عمرا ، وتسخر من زيد، وتستمرئ هذا الرفض إذا كانت على درجة من الملاحة والوضع الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي المتميز وتكالب من الخطاب عليها، متخذة ممن رفضت من المتقدمين لها مادة للسخرية منهم والتزيّد بهذا الرفض بين لداتها وصديقاتها، ويلقي الشيطان في روعها أن حرارة ورواج سوقها سيستمر وأن تهافت الرجال عليها سيزداد، وتنسى في خضم هذه النشوة، وغمرة هذا السكر نفسها، فلا تضع بالا للسنين المتتالية والأعوام المتعاقبة والحجج المتلاحقة ، التي تعمل عملها فيها حتى يفوتها قطار الزواج وتدخل في مرحلة العنوسة، والتي كانت تظنها فترة زمنية لها علامات تؤذنها بوقت مجيئها، وكانت تظن أن هذه الفترة بعيدة عن الطالبات ولا تذكر أنها طالبة جامعية أو في مرحلة الماجستير، وكانت تظن أنها في المرحلة المتوسطة أو الثانوية، وبعد

ذلك يقل الخطاب بل ينعدم وجودهم وينفض سامرهم فلا يطرق بابها أحد وعندما تسترجع شريط ذكرياتها وتجتر ذاكرتها تجد أن فلانا الأول الذي ردته كان مناسبا لها وأنها اشتطت في رفضها له، وهو الآن قد تزوج فلانة وأنجب منها أولادا وبنات، وأن الذي بعده كانت قد ظلمته فهو لا بأس به، وأن الثالث كان يصلح لها وأن الرابع خير لها من جلوسها الآن. ومن ثم تصير تعدد وتحسب عدد الخطاب الذين تقدموا لطلب يدها وأنهم قد أدخلوا فلانا وفلانا ليستشفع لهم عندها للرضا بهم وأن تحظى بقبول بعضهم ولكنها لم تقبل بهم ولم توافق عليهم ، وهي الآن في قرارة نفسها تود لو أنها كانت زوجة ثانية للمتقدم الأول ولو كانت مثفاة [1] للمتقدم الثاني ولو كانت زوجة رابعة للمتقدم الثالث، ولو كانت مطلقة للمتقدم الأخير، وتعدادها للخطاب المتقدمين من باب إرضاء غرور النفس الذي أوقعها فيما هي فيه الآن وأنها هي التي طلبت ولكنها رفضت، ومن ثم تبدأ التفكير في دراسات عليا، بعد المرحلة الجامعية موهمة نفسها خادعة غيرها بأنها فرغت نفسها ونذرتها للعلم رغم أنها تعلم أنها تكذب في ذلك، فيا صاحبة الصفات الخيالية في الأزواج، عليك أن تتذكري أن الألبان تقل وقد تنعدم أحيانا كثيرة في الشتاء، فلا تضيعينها في الصيف، فيقع عليك قول القائل: الصيف ضيعت اللبن، والمثل في الأصل خوطبت به امرأة، وهي دختنوس بنت لقيط بن زرارة، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس، وكان شيخا كبيرا ففركته فطلقها، ثم تزوجها فتى جميل الوجه، وأجدبت فبعثت إلى عمرو تطلب منه حلوبة، فقال عمرو: في الصيف ضيعت اللبن، فلما رجع الرسول

---

[1] المثفاة بكسر الميم : المرأة التي لزوجها امرأتان سواها، شبهت بأثافي القدر. وثُفِّيت المرأة إذا كان لزوجها امرأتان سواها وهي ثالثتهما، شبهن بأثافي القدر. [لسان العرب مادة : ثفي]

وقال لها ما قال عمرو: ضربت يدها على منكب زوجها وقالت: هذا ومذقة خير. تعني أن هذا الزوج مع عدم اللبن خير من عمرو.[١]

فالفرص قد لا تتكرر فاغتنميها، والريح التي عادتها السكون قد لا تتحرك فبادري بامتطاء هبوبها، وتذكري صديقتك فلانة وفلانة التي قد رضيت بفلان مع أنه ليس من شروطها ولكنها قرت عينا معه ومن قر عينا بعيش نفعه.[٢]

وقد تظفر المرأة بما وضعته من صفات خيالية في الزوج ولكنها عند تزوجه بها ودخوله عليها ومعرفتها حقيقة أمره قد تصدم فيه صدمة كبيرة تجعلها تقلب أفكارها رأسا على عقب. لأنها تكون قد غفلت عن كثير من صفات أخرى أنستها لها غمرة البحث وقلة التجربة وبما أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار مضاد له في الاتجاه فقد توافق على زوج على النقيض تماما من زوجها السابق.

قال المفضل الضبي شارحا المثل القائل: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل، ومناسبته: أول من قال ذلك عثمة بنت مطرود البجيلية، وكانت ذات عقل ورأي مستمع في قومها، وكان لها أخت يقال لها: خود، وكانت ذات جمال وميسم وعقل، وإن سبعة إخوة غلمة من بطن الأزد خطبوا خودا إلى أبيها، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية، وتحتهم النجائب الفره، فقالوا: نحن بنو مالك بن غفيلة ذي النحيين، فقال لهم: انزلوا على الماء، فنزلوا ليلتهم، ثم أصبحوا غادين في الحلل والهيئة، ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء، كاهنة فمروا بوصيدها يتعرضون لها، وكلهم وسيم جميل، وخرج أبوها

---

[١] مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٢٣

[٢] قال رجل من كلب لزوجته لما دخل بها: ما أهزلك؟ قالت: هزالي أولجني بيتك. [الأجوبة المسكتة لمحمد بن إبراهيم الحازمي ج ٢ ص ١٣٠]

فجلسوا إليه، فرحب بهم، فقالوا: بلغنا أن لك بنتا ونحن كما ترى شباب، وكلنا يمنع الجانب ويمنح الراغب، فقال: أبوها كلكم خيار، فأقيموا نرى رأينا، ثم دخل على ابنته فقال: ما ترين؟ فقالت: أنكحني على قدري ولا تشطط في مهري، فإن تخطئني أحلامهم لا تخطئني أجسامهم، لعلي أصيب ولدا، وأكثر عددا، فخرج أبوها فقال: أخبروني عن أفضلكم، قالت ربيبتهم الكاهنة الشعثاء: اسمع أخبرك عنهم. هم إخوة وكلهم إسوة، أما الكبير فمالك جرئ فاتك، يتعب السنابك ويستصغر المهالك. وأما الذي يليه فالغمر، بحر غمر يقصر دونه الفخر، نهد صقر. وأما الذي يليه فعلقمة، صليب المعجمة، منيع المشتمة، قليل الجمجمة، وأما الذي يليه فعاصم، سيد ناعم، جلد صارم، أبي حازم، جيشه غانم، وجاره سالم، وأما الذي يليه فثواب، سريع الجواب، عتيد الصواب، كريم النصاب، كليث الغاب. وأما الذي يليه فمدرك، بذول لما يملك، عزوب عما يترك، يفني ويهلك. وأما الذي يليه فجندل لقرنه مجدّل، مقل لما يحمل، يعطي ويبذل، وعن عدوه لا ينكل.

فشاورت أختها عثمة، فقالت: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل، اسمعي مني كلمة إن شر الغريبة يعلن وخيرها يدفن، أنكحي في قومك ولا تغرك الأجسام، فلم تقبل منها وبعثت إلى أبيها، أنكحني مدركا.

فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورعائها وحملها مدرك، فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى صبحهم فوارس من بني مالك بن كنانة، فاقتتلوا ساعة ثم إن زوجها وإخوته انكشفوا فسبوها فيمن سبوا، فبينما هي تسير بكت، فقالوا: ما يبكيك أعلى فراق زوجك؟ قالت: قبحه الله قالوا: لقد كان جميلا، قالت: قبح الله جمالا لا نفع فيه، إنما أبكي على عصياني أختي وقولها: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل. وأخبرهم كيف خطبوها، فقال لها رجل منهم، يكني أبا نواس شاب أسود أفوه مضطرب الخلق،

أترضين بي على أن أمنعك من ذئاب العرب، فقالت لأصحابه: أكذلك هو؟ قالوا: نعم إنه مع ما ترين ليمنع الحليلة، وتتقيه القبيلة، قالت: هذا أجمل جمال وأكمل كمال، قد رضيت به فزوجوها منه.[١]

وقد يعكس ولي أمر الفتاة ما يجيش في صدره، من ألم و تتابع حسرات ناتج عن تبغيل إحدى بناته، [٢] فيخرج زفراته متذمرا مما آل إليه أمره، وكيف تقلب الأيام وصروفها، وتغير الأحوال، بأن يكون قد افتقر بعد غناه، أو ترك موطنه فذل وطمع فيه غيره، فتطاول عليه الرويبضات [٣]والنكرات من الناس فخطبوا بناته، وطمع فيهن من لم يكن يطمع من قبل أن يحل به ما حل.

ومن أدق الأمثلة لذلك مهلهل بن ربيعة وكان في آخر حربهم حرب البسوس في جنب بن عمرو بن وعلة ابن جلد بن مالك وهو مذحج وجنب حي من أحيائهم وضيع فخطبت ابنته ومهرت أَدَمًا فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال :

---

[١] مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٨٧ــ ١٨٨

[٢] قال ابن منظور : نَكَح فيهم فبَغَلهم وبَغَّلَهم: هَجَّن أَولادهم. وتزوَّج فلان فلانة فَبَغَّل أَولادَها إِذا كان فيهم هُجْنة، وهو من البَغْل لأَن البَغْلَ يَعْجَز عن شَأْوِ الفَرس. [لسان العرب مادة بغل]

[٣] الرويبضات مفردها رويبضة والرُّوَيبضة، تصغير الرَّابضة وهو العاجز الذي رَبَضَ عن مَعَالي الأُمُور وقعَد عن طَلَبها، وزيادة التَّاء للمبالغة. والتَّافه: الخَسِيس الحَقِير. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ربض}]

أنكحها فقدها الأراقم[١] في جنب[٢] وكـــان الحبـــاء من أدم[٣]

لو بأبانين[٤] جـــاء يخطبهـــا ضـــرج ما أنف خـــاطب بدم[٥]

وقد حدث تضريج دم لرويبضة تقدم لبنت رجل من علية القوم وهو جار عقيل بن علفة المري، الذي كان له جار من بنى سلامان فخطب إليه فأخذه فقمطـه ودهنـه بشحم وألقاه في قرية النمل فأكلن بعضه فخلاه وقال: له يخطب إلي عبد الملـك فـأرده وتجترئ علي.[٦]

ـــ وفي الغالب أن تصرفات غير الأكفياء من الأزواج الذين هم مـن أصـحاب الذلة والقلة المتوارثة تنم عن حقد وحب للانتقام من أصحاب البيوتات، كمـا في هـذه القصة: قال الصفدي في ترجمة محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي م سنة ٥٦٥ هـ: أنه

---

(١) الأَراقِمُ بنو بكر وجُشَم ومالك والحرث ومعاوية؛ وسُميت الأَراقِمُ بهذا الاسم لأن ناظراً نظر إليهم تحت الدَّثارِ وهم صِغار فقال: كأَنّ أَعينهم أَعين الأَراقِمِ، فَلَجَّ عليهم اللقبُ. [لسان العرب، مـادة: رقم]

(٢) جَنْبٌ: حيّ من اليمن.

(٣) قال ابن منظور : جعل المُهَلْهِلُ مَهْرَ المرأة حباءً فقال:

أَنكَحَها فقدُها الأَراقِمَ في جَنْبٍ، وكان الحِباءُ منْ أَدَمِ

أَراد أَنهم لم يكونوا أَرباب نَعَمٍ فيُمْهِروها الإِبلَ وجعلهم دَبَّاغِين للأَدَمِ. [لسان العرب ، مادة : حبا]

(٤) أبان جبل ، وهما أبنان : أبان الأسود وأبان الأبيض

(٥) انظر الكامل في اللغة الأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ٧٧ــ ٧٨

(٦) طبقات فحول الشعراء : ترجمة علفة بن عقيل

اضطر تحت وطأة الضرورة إلى تزويج ابنته في حماة من زوج غير كفء، وكأنه لم تكفه حالته المزرية حتى رحل بها الزوج عن حماة وباعها في بعض الأمصار.[١]

٧ـ الوفاء لزوج أو عشيق :

أولا: الوفاء لزوج:

الزواج والمبادرة والحرص إليه هي السمة الغالبة على بني البشر، فالعادة أن الرجال يتقدمون للزواج والمرأة المعنية بالأمر توافق أو تمتنع لعلة في الزوج مفسرة العلة أو كاتمة لها ولكن قد ترفض بعض النساء الزواج من زيد وعمرو وغيرهما لا علة فيهم بل لأسباب خارجة عنهما وهذه الأسباب عدة نجتزئ منها بالآتي:

أ ــ أن تمتنع المرأة من الزواج بعد وفاة زوجها، وتحوشها منه،[٢] لكون أن يكون الزوج قد ترك مالا واشترط عليها عدم الزواج وأن يكون المال لها، كما حدث لامرأة عراقية مع عمر بن أبي ربيعة، فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها، فمشى معها حتى عرف موضعها، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته، وخطبها، فقالت: إن هذا لا يصلح هاهنا، ولكن إن جئتني إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوجتك، فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سهم، وقال له: إن لي إليك حاجة أريد أن تساعدني عليها، فقال: نعم، فأخذ بيده ولم يذكر له ما هي، ثم أتى منزله وركب نجيبا وأركبه نجيبا آخر، وأخذ معه ما يصلحه وسارا، لا يشك السهمي في أنه يريد سفر يوم أو يومين، فما زال يحفد[٣] حتى لحق بالرفقة، ثم سار بسيرهم، يحادث المرأة

---

[١] تاريخ الصفدي ج ١ ص ١٤١

[٢] تَحَوَّشَت المرأةُ من زَوْجِهَا: تأيَّمَتْ. [القاموس المحيط باب الشين.فَصْلُ الحَاء.]

[٣] يحفد : يسير مسرعا

طول طريقه، ويسايرها ويترل عندها إذا نزلت حتى ورد العراق، فأقام أياما ثم راسلها يتنجزها وعدها، فأعلمته أنها كانت متزوجة ابن عم لها، وولدت منه أولادا، ثم مات وأوصى بهم وبمالها إليها ما لم تتزوج، وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة، وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت، فردها عليها، ورحل إلى مكة.[١]

ب ــ أن تتعلق فتاة بفتى من الفتيان ويتعلق بها فيتقدم لطلب يدها فيرفضه أهلها فترفض هذه الفتاة كل الخاطبين بعده. مع أن الصحيح إلحاقها بمن تهوى، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله عندنا يتيمة [٢]قد خطبها رجلان موسر ومعسر وهي تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم ير للمتحابين مثل النكاح.[٣]

ج ــ امرأة خطبها هذا المتوفى وكان يريد الاقتران بها سريعا ولكن المنية اخترمته والمنون داهمه قبل ذلك وحالت بينهما وبين ما أرادا، فتسود الدنيا في عينيها وتظلم الحياة أمامها وتضيق آمال السعادة أمام ناظريها فتعزف عن الاقتران بأحد المتقدين إليها عرفانا لهذا المحبوب ووفاء له ومخافة إن تزوجت بعده أن يكون هذا الوافد على النقيض في

---

[١] الأغاني ج ١ ص ١٧١ ــ ١٧٣ (طبعة الشعب)

[٢] أرادَ باليَتيمة البِكْرَ البَالغَةَ التي مَاتَ أبُوهَا قَبْل بُلُوغها، فَلَزِمَها اسْمُ اليُتْم فَدُعيَتْ به وهي بالغَة، مَجَازاً. وقيل: المرأةُ لا يزوُل عنها اسْمُ اليُتْم ما لم تَتزوّج، فإذا تَزَوّجَتْ ذَهَبَ عنها. ومنه حديث الشَّعْبِي أنّ امْرأةً جاءت إليه فقالت: إنّي امْرأة يَتيمةٌ فَضَحك أصْحابُه، فقال: النِّساء كُلُّهُنَّ يَتَامَى أي ضَعَائفُ. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {يتم}]

[٣] سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب: ما جاء في فضل النكاح، حديث رقم: ١٨٣٧/ أبو الحسن بن شاذان في مشيخته/ ابن النجار في تاريخ بغداد وانظر البيان والتعريف ج٣ ص١٢٦/ وسلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٦٢٤

السوء من الهالك وتظن هذه المرأة أن في رفضها للزواج نوعا من أنواع الوفاء وحفظ الود والوفاء بالعهد لهذا الهالك رغم أنه لم يتكلم معها: هل ستفكر في شخص آخر بعد هلاكه ولم يتطرق لذلك.

د ــ أن تكون قد اقترنت مع هذا الرجل مدة من الزمان، طالت أم قصرت وكانت قد رأت شمائل هذا البعل وكرمه ونبله وطيب خصاله وسجاياه، وأحبته حبا ظنت أنها لن تستطيع أن تستغني عنه فيشاء الله أن يموت هذا الزوج فتمتنع المرأة عن الزواج وتعزف وتضرب عنه وفاء لهذا الزوج الهالك.ومن الأمثلة لذلك ما يلي:

ــ أسلم أبو الرباب بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس الكلبي على يدي عمر بن الخطاب وأمره عمر على قومه فلما خرج من عنده خطب إليه علي بن أبي طالب أن يزوج ابنه الحسن أو الحسين من بناته فزوج الحسن ابنته سلمى والحسين ابنته الرباب وزوج عليا ابنته الثالثة وهي المحياة بنت امرئ القيس في ساعة واحدة فأحب الحسين زوجته الرباب حبا شديدا وكان بها معجبا يقول فيها الشعر ولما قتل بكربلاء كانت معه فوجدت عليه وجدا شديدا، وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش فقالت ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالله لا يؤويني ورجلا بعد الحسين سقف أبدا ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت ويقال إنها إنما عاشت بعده أياما يسيرة.[1]

ــ كانت عند لقيط بن زرارة بنت قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين، وكان يحبها وتحبه فمات عنها فخلف عليها عمرو بن جون الكندي، وكان يسمعها تكثر ذكر لقيط وتظهر الجزع عليه وتصف محاسنه ، فقال لها: ويلك والله ما لقيط إلا كبعض عبيدي، فصفي لي بعض ما أعجبك من محاسنه، قالت: نعم تطيبت يوما وقد ظعن الحي في

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ٨ ص ١٩٨

يوم ذي زهر، وظل وكنت نائمة فكره أن يوقظني فقعد ينتظر انتباهي ومعه فضلة من شراب، فجعل يشرب منها حتى استيقظت فحملني وركب فرسه فعرضت لنا عانة فحمل عليها فصرع منها حمارا، ثم رجع إلي ومنه ريح المسك، وريح الشراب وريح الطلاء والزهر، فتدليت إليه فضمني ضمة وشمني شمة فليتني مت ثمة. قال: فتطيب عمرو وتناول من الشراب وخرج فتصيد ثم عاد إليها فضمها إلى نفسه وقال لها: ما أنا من لقيط؟ قالت: مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء، فطلقها فرجعت إلى قومها وقالت: ابنوا علي قبة الأيمة فوالله لا جمعني رجل بعد لقيط أبدا.[1]

هـ ـ أن تتزوج المرأة ويعيشا فترة ثم يموت زوجها ويكونان قد تعاهدا وتعاقدا وتواثقا في حياتهما إن سبق أحدهما الآخر أن لا يتزوج الذي بعده فيموت الرجل أولا فتفي له هذه المرأة ولا تتزوج، ولنجتزئ بالأمثلة التالية :

ـ عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر الأنصارية أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب أم مبشر بنت البراء بن معرور فقالت إني شرطت لزوجي أن لا أتزوج بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا لا يصلح.[2] وبعد أن بين لها النبي صلى الله عليه وسلم عدم صلاحية ذلك الشرط خطبها لأحد أصحابه فتزوجها، فعن محمد بن عبد الرحمن بن خلاد الأنصاري عن أم مبشر الأنصارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها وهي في بعض حالاتها وكانت امرأة البراء بن معرور فتوفي عنها فقال إن زيد بن حارثة قد مات أهله ولن آلو أن أختار له امرأة فقد اخترتك له فقالت يا رسول الله إني حلفت للبراء أن لا أتزوج بعده رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] الأغاني ج١٩ص١٣٠ـ١٣٢

[2] المعجم الصغير ج ٢ ص ٢٧٤ ، حديث رقم: ١١٥٧

أترغبين عنه قالت أفأرغب عنه وقد أنزله الله بالمنزلة منك إنما هي غيرة قالت فالأمر إليك قال فزوجها من زيد بن حارثة ونقلها إلى نسائه فكانت اللقاح تجيء فتحلب فيناولها الحلاب فتشرب ثم يناوله من أراد من نسائه قالت فدخل علي وأنا عند عائشة فوضع يده على ركبتها وأسر إليها شيئا دوني فقالت بيدها في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم تدفعه عن نفسها فقلت مالك تصنعين هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم دعيها فإنها تصنع هذا وأشد من هذا.[1]

ـ عن علي بن يزيد أن عاتكة بنت زيد كانت تحت عبد الله بن أبي بكر فمات عنها واشترط عليها ألا تزوج بعده، فتبتلت وجعلت لا تزوج، وجعل الرجال يخطبونها وجعلت تأبى، فقال عمر لوليها: اذكرني لها، فذكره لها فأبت على عمر أيضا، فقال عمر: زوجنيها: فزوجه إياها، فأتاها عمر فدخل عليها فعاركها حتى غلبها على نفسها فنكحها، فلما فرغ قال: أف أف أف أفف بها ثم خرج من عندها وتركها لا يأتيها، فأرسلت إليه مولاة لها أن تعال فإني سأهيأ لك.ابن سعد، وهو منقطع.[2]

ـ واقعة ذكرها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: الرباب غير منسوبة ذكرها محمود بن أحمد الفريابي في كتاب خالصة الحقائق وأنها كانت زوجا لرجل يقال له عمرو فتعاهدا أيهما مات قبل الآخر لا يتزوج الذي يبقى حتى يموت فمات فأقامت مدة فزوجها أبوها فرأت في تلك الليلة عمرا أنشدها أبياتا فأصبحت مذعورة وقصت على النبي صلى الله عليه وسلم القصة فأمرها أن تستأنس بالوحدة حتى تموت وأمر زوجها

---

[1] التاريخ الكبير ج ٨ ص ٢٨٥

[2] كنز العمال، حديث رقم: ٣٧٦٠٧

بفراقها ففعل ذلك قلت وهي حكاية مشهورة لغير هذين حتى الشعر المذكور في هذه القصة ولكن الزوج اسمه مالك بن نصر وكان في إمارة قتيبة بن مسلم على خراسان وذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة.[1]

و ـــ أن تمتنع المرأة عن الزواج من آخر طمعا في الاقتران بزوجها يوم القيامة، كما فعلت سلمى بنت جابر التي استفت ابن مسعود في هذا الأمر، فعَنْ كَرِيمِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ جَدَّتِهِ سَلْمَى بِنْتِ جَابِرٍ أَنَّ زَوْجَهَا اسْتُشْهِدَ فَأَتَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَتْ إِنِّي امْرَأَةٌ قَدْ اسْتُشْهِدَ زَوْجِي وَقَدْ خَطَبَنِي الرِّجَالُ فَأَبَيْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ حَتَّى أَلْقَاهُ فَتَرْجُو لِي إِنْ اجْتَمَعْتُ أَنَا وَهُوَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَزْوَاجِهِ قَالَ نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا رَأَيْنَاكَ نَقَلْتَ هَذَا مُذْ قَاعَدْنَاكَ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَسْرَعَ أُمَّتِي بِي لُحُوقًا فِي الْجَنَّةِ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْمَسَ.[2]

وذكر الحافظ ابن حجر اسم الزوج فقال: حارثة بن سفيان البجلي له إدراك وكان زوج سلمى بنت جابر الأحمسية ذكره عبد الله بن المبارك في كتاب البر والصلة قال حدثنا أبان بن عبد الله البجلي عن فلان بن أبي حازم أن سلمى بنت جابر أتت عبد الله بن مسعود فقالت له إن زوجي حارثة بن سفيان لحق بالله قتل بطبرستان وإنه خطبني رجال وإني حبست نفسي على زوجي أفترجو لي أن أكون من أزواجه في الجنة قال نعم قلت واسم فلان المذكور كريم سماه أبو أحمد الزبيري في روايته عن أبان البجلي وزاد في

---

[1] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١١٦١

[2] مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله مسعود، حديث رقم : ٣٦٣

روايته أن بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول أمتي لحوقا بي امرأة من أحمس.[١]

وذلك لأن المرأة لآخر أزواجها. فعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما امرأة توفي عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لآخر أزواجها.[٢]

قال السيوطي: أيما امرأة توفي عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لآخر أزواجها: أي يكون هو زوجها (ولا يعارض هذا الحديث بالحديثين التاليين لضعفهما: ورد في حديث طويل: "يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقا" – بضم الخاء واللام – ، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي. وورد حديث مثله عن أنس، خاطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة، وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار باختصار وفيه عبيد بن إسحاق وهو متروك وقد رضيه أبو حاتم. وهو أسوأ أهل الإسناد حالا ويمكن الجمع بين الأحاديث الثلاثة بأنها تكون لآخر أزواجها إذا تساووا في الخلق، وإلا فتختار أحسنهم خلقا. والله أعلم.[٣]

---

[١] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم : ١٩٤٠

[٢] كنز العمال، حديث رقم: ٤٥٥٥٨

[٣] أخرجه، الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء وهو: صحيح[انظر: الجامع الصغير، للسيوطي، حديث رقم: ٢٩٨٣]

وقال المناوي: (المرأة) في الجنة تكون (لآخر أزواجها) في الدنيا قال البيهقي فلذا حرم على أزواج النبي صلى اللّه عليه وسلم أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة.[١]

قال بعضهم وإنما كانت لآخرهم لأنها تركت الزوج ولم يتركها هو ولا يعارضه خبر أنه سئل عن المرأة يموت زوجها فتتزوج آخر ثم يموت فلمن هي؟ قال لأحسنهما خلقاً كان معها لأن المراد به من فرق بينهما الطلاق لا الموت لأنه إذا وقع علي غير بأس فهو لسوء الخلق لأنه أبغض الحلال إلى اللّه.[٢]

وعن حذيفة أنه قال لامرأته: إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا.[٣]

ز ــ أن يموت زوجها ويكون لها أولاد منه فتمتنع عن الزواج حفظا لقلوب أقارب زوجها ووفاء وتقديرا لزوجها وإشبالا على أولادها وإذحاجا عليهم،[٤] وقد أفردنا امتناع المرأة عن الزواج بسبب الإشبال على الأطفال بحديث خاص من هذا الكتاب فليراجع في موضعه.

---

[١] قال المناوي: قالوا وهذا هو أحد الأسباب المانعة من نكاح زوجات النبي صلى اللّه عليه وسلم بعده لما أنه سبق أنهنّ زوجاته في الجنة. [فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للمناوي، حديث رقم: ٢٩٨٣]

[٢] قال المناوي: رواه الطبراني عن أبي الدرداء والخطيب عن عائشة، قال الحافظ العراقي إسناده ضعيف. [فيض القدير، حديث رقم:٩١٩٢]

[٣] انظر: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٠٨

[٤] أَذْحَجَت المرأة على ولدها: أقامت. ومَذْحِجٌ: مالكٌ وطيئٌ، سمّيا بذلك لأن أُمهما لما هلك بعلها أَذْحَجَتْ على ابْنَيْها طَيِّئٍ ومالكٍ هذين، فلم تتزوَّجْ بَعْدَ أُدَدٍ. [لسان العرب ، مادة : ذحج]

ح ـ أن يكون الزوج قد أوصاها أن لا تتزوج بعده كما أوصى حذيفة بن اليمان زوجته[١] وأبو الدرداء زوجته.[٢]

ـ وعموما فإن الوفاء للمحبوب عند النساء قليل جدا مقارنة بعدد النساء اللاتي كن يفضلن الزواج من زيد ولكن الواقع فرض عليهن الزواج من عمرو فينسين زيدا نسيانا كاملا ولا يشعرن بأدنى حرج من ذلك وهناك كثير من النساء لم يفين لأزواجهن رغم أنهما كانا قد تعاهدا في حياتهما على أن لا يتزوج الآخر عند موت الأول، ونجتزئ من الأمثلة الكثيرة بالآتي :

ـ سلمى زوجة صخر بن عمرو بن الشريد السلمي:

كان صخر بن عمرو بن الشريد السلمي سيد قومه فأغار على بني أسد فأصابته طعنة وطال مرضه، وزوجته اسمها سلمى قد قال لها رجل من الحي: أيباع هذا الكفل؟[٣] قالت: عما قريب. وسمعها صخر من داخل البيت ثم سألتها امرأة كيف صخر؟ قالت: لا حي فيرجى ولا ميت فينعى، وسألت امرأة أمه فقالت: بخير ما رأينا شمسه بيننا، وسمع صخر كل ذلك في ساعة واحدة فأراد قتل امرأته، فلما دخلت البيت قال لها: ناوليني سيفي لأنظر هل تقله يدي أم لا؟ فناولته السيف، فإذا هو لا يقدر أن يقله فقال:

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني

ولست أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان

---

[١] انظر ص من هذا الكتاب

[٢] انظر ص من هذا الكتاب

[٣] كان صخر قد عاهد سلمى أن لا تتزوج بعده وعاهدته كذلك. وكان يقول إذا نظر إليها يقول: لا أكره الموت إلا أنه يفرق بيني وبين هذه ويشير إليها. (تزيين الأسواق ص١٥٤)

أهم بأمر الحزم لـــو أستطيعـــه وقد حيل بين العيـر والنـــزوان
لعمري لقد نبهت من كان نائمـــا وأسمعت من كانت له أذنـــان
وأي امرئ ساوى بـــأم حليلـــة فلا عاش إلا في شقاء وهوان[1]

ـ غادر جارية موسى الهادي :

كان لموسى الهادي جارية اسمها غادر وكان يحبها حبا شديدا جدا، وكانت تحسن الغناء جدا فبينما هي تغنيه يوما إذ أخذته فكرة غيبته عنها وتغير لونـــه، فســـأل بعـــض الحاضرين: ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال: أخذتني فكرة أني أموت وأخي هارون يتـــولى الخلافة بعدي ويتزوج جاريتي هذه. ففداه الحاضرون ودعوا له بطول العمر، ثم استدعى أخاه فأخبره بما وقع فعوّذه الرشيد من ذلك. فاستحلفه الهادي بالأيمان المغلظة من الطلاق والعتاق والحج ماشيا حافيا أن لا يتزوجها فحلف له، واستحلف الجارية كذلك، فحلفت له، فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات، ثم خطبها الرشيد ، فقالت: كيـــف بالأيمـــان التي حلفناها أنا وأنت ؟ فقال : إني أكفر عني وعنك، فتزوجها وحظيت عنده جدا، حتى كانت تنام في حجره فلا يتحرك خشية أن يزعجها، فبينما هي نائمة ذات ليلة إذ انتبهت مذعورة تبكي، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين رأيت الهادي في منامي هذا وهو يقول:

أخلفت عهدي بعدي مـــا جـاورت سكـــان المقـــابـر
ونسيتنـــي وحنثت فـــي أيمانك الكذب الفواجـــر
ونكحت غـــادرة أخـــي صدق الذي سماك غـــادر
أمسيتُ في أهـــل البلـــى وعددتُ في الموتى الغوابر

---

[1] محاضرات الأدباء مجلد٢ ج٣ص٢١٧، نوادر المخطوطات ج٢ص٢٣٥ــ٢٣٦

لا يهنك الإلـف الجـــد يد ولا تدر عنك الـــدوائر

ولحقت بي قبل الصبـــاح وصرت حيث غدوت صـــائر

فقال لها الرشيد: أضغاث أحلام. فقالت: كلا والله يا أمير المؤمنين، فكـأنما كتبت هـذه الأبيات في قلبي، ثم ما زالت ترتعد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح.[١]

ـ أم سلمة بنت يعقوب المخزومية:

انظر تفاصيل قصتها في الخلافات بين الزوجين.[٢]

وعلى الزوج أن لا يدخل في مثل هذه الأمور مثل أن يأمر امرأته ألا تتزوج بعده وأن يترك الأمر على سجيته. بل يكون على العكس من ذلك فيأمرهـا أن تتـزوج إن شاءت. فعن زياد بن أبي مريم، قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امـرأة يمـوت زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج، إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعال أعاهـدك ألا تتزوج بعدي، ولا أتزوج بعدك، قال: أتطيعيني؟ قالت: نعم قال: إذا مت تزوجي. اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيرا مني ، لا يحزنها ولا يؤذيها، فلما مات، قلت: من خـير من أبي سلمة؟ فما لبثت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على البـاب فـذكر الخطبة إلى ابن أخيها أو ابنها، فقالت: أرد على رسول الله أو أتقدم عليه بعيالي، ثم جـاء الغد فخطب.[٣]

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ١٧٦ ــ ١٧٧

[٢] انظر الخلافات بين الزوجين ص

[٣] انظر: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٠٣/ الإصابة لابن حجر، ترجمة : ١١٨٤٥

ثانيا: العشق :

العِشْقُ: فرط الحب، وقيل: هو عُجْب المحب بالمحبوب يكون في عَفاف الحُبّ ودَعارته. ورجل عاشِقٌ من قوم عُشَّاق، وعِشِّيقٌ مثال فِسِّيق: كثير العِشْق. وامرأة عاشِقٌ، بغير هاء، وعاشِقةٌ. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن الحُبِّ والعِشْق: أيّهما أحمد؟ فقال: الحُب لأن العِشْقَ فيه إفراط، وسمي العاشِقُ عاشِقاً لأنه يَذْبُلُ من شدة الهوى كما تَذْبُل العَشَقَةُ إذا قطعت، والعَشَقَةُ: شجرة تَخْضَرُّ ثم تَدِقُّ وتَصْفَرُّ، واشتقاق العاشق منه. [1]

والحب له مراتب ذكرها العلماء في مصنفاتهم كابن القيم وابن الجوزي وغيرهما وورد في القرآن الكريم ذكر مرتبتين من مراتب الحب وهما العشق والغرام، قال الله تعالى عن العشق ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [2]

وقال تعالى عن الغرام ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [3]

قال الطبري: قوله إن عذابها كان غراما يقول إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ومهلكا له ومنه قولهم رجل مغرم من

---

[1] لسان العرب، مادة : عشق

[2] سورة يوسف آية ٣٠

[3] سورة الفرقان آية ٦٥

الغرم والدين. ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه وإلحاحه على صاحبه فيه. ومنه قيل للرجل المولع بالنساء إنه لمغرم بالنساء وفلان مغرم بفلان إذا لم يصبر عنه. [١]

وليس المقصود أن ذكر مراتب الحب في القرآن أنه مأمور به أو محبذ فيه، كلا بل حتى أن بعض الناس الذين يدمنون قراءة سورة يوسف التي فيها آيات العشق دون غيرها مذمومون ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: من الناس والنساء من يحب سماع هذه السورة ـــ سورة يوسف ـــ لما فيها من ذكر العشق وما يتعلق به ، لمحبته ذلك ورغبته في الفاحشة ، حتى إن من الناس من يقصد إسماعها للنساء وغيرهن لمحبتهم للسوء ، ويعطفون على ذلك ، ولا يختارون أن يسمعوا ما في سورة النور من العقوبة والنهي عن ذلك، حتى قال بعض السلف: كل ما حصلته في سورة النور أنفقته في سورة يوسف، وقد قال الله تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم قال﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [٢] وقال ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [٣] فكل أحد يحب سماع ذلك

---

[١] تفسير الطبري ج ١٩ ص ٣٥

[٢] سورة الإسراء آية ٨٢

[٣] سورة التوبة آية ١٢٤ـــ١٢٥

لتحريك المحبة المذمومة ، ويبغض سماع ذلك إعراضا عن دفع المحبة وإزالتها فهو مذموم.[١]

والعشق سكرة لا يفيق صاحبها إلا بعد جهد جهيد وحرص شديد، قال الشاعر:

سكرات خمس إذا سكر المرء بها صار ضحكة للزمان

سكرة الحرص والحداثة والعشق وسكر الشراب والسلطان[٢]

والعشق لا يعرف عمرا ولا جنسا فقد يصاب ويبتلى به الذكر والأنثى والحيوان والطير ، والصغير والكبير ومن أمثلة إصابته كبار السن وعشقهم لصغار السن، القصة الآتية، قال الخليفة هرون الرشيد للأصمعي: يا عبد الملك أنا ضجر وأحب أن تسمعني حديثا مما سمعت من أعاجيب الزمان، نفرح به، فقلت : يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان، وكنت أغشاه وأتحدث معه، وقد أتت عليه ست وتسعون سنة، وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا، فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن، كاسف البال، فسألته عن سبب تغيره، فقال: قصدت بعض القرابة، فألفيت عندهم جارية قد طلت بالورس[٣] بدنها، وفي عنقها طبل تنشد عليه:

---

[١] مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم ابن تيميه الحراني الدمشقي، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ١٤٠٦هـ ، ج١٥ص٣٣٥

[٢] الإدارة في التراث الإسلامي ، ص ٢٦١

[٣] الوَرْس بوزن الفلس نبت أصفر كالسِّمْسِمِ، يكون باليمن تتخذ منه الغُمرة للوجه، يُزْرَعُ فَيَبْقَى عِشْرِينَ سنةً، نافِعٌ للكَلَفِ طِلاءً، تقول منه أَوْرَسَ المكان فهو وَارِسٌ ولا يقال مُوْرِسٌ وهو من النوادر و وَرَّسَ الثوب تَوْرِيسا صبغه بالورس. [مختار الصحاح، مادة: ورس / القاموس المحيط للفيروز آبادي باب السّين.فَصْلُ الواو]

محاسنها سهام للمنـــايا مريّشة بأنواع الخطـــوب
ترى ريب المنون بهن سهما تصيب بنصله مخ القلـــوب

فقلت :

قفي شفتي من موضع الطبـــل ترتعي كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن
هبيني عـــودا جوفـه تحـــت متنه يمتّعني مـــا بين نحـــرك والذقـــن

فلما سمعت شعري رمت الطبل في وجهي ودخلت الخيمة، فوقفت حتى حميت الشـــمس على مفرقي ولم تخرج، فانصرفت قريح القلب، فهذا التغير من عشـــقي لهـــا، فضـــحك الرشيد حتى استلقى، وقال: ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق، فقلت قد كان هذا.[1]

وقد يعشق إنسان امرأة كبيرة، وعجوزا لا رغبة لأحد فيها، قال أبـــو الأســـود الدؤلي وكانت له امرأة اسمها أم عوف وكانت لها عنده منزلة ، فتزوج امرأة، فقالت لـــه أم عوف: ما هذا ؟ فقال:

أَبى القَلْبُ إلاَّ أُمَّ عَمْـــرٍو وحُبّهـــا عَجُوزاً، ومَن يُحْبِبْ عَجُـــوزاً يُفَنَّدِ
كثَوْبِ اليماني قـــد تَقادَمَ عَهْـــدُه ورُقْعَتُه ما شِئْتَ في العينِ واليدِ[2]

وقد يستغرب العاشق تعلق قلبه بهذا المعشوق دون غيره ، فمثلا يتعلق الرجـــل بامرأة دون غيرها مما يدفعه للتساؤل : هل لهذه المرأة مزية على غيرها من النسوان كمـــا تساءل المجنون فقال :

---

[1] المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣١٦

[2] شرح حماسة أبي تمام ج ٢ ص ٨٧٠

فوالله ما أدري أزيـــدت ملاحـــــة وحسنا على النسوان أم ليس لي عقل[١]

وقد يبلغ العشق بصاحبه درجة أن يقبل آثار معشوقه ومنازله قال الشاعر:

أمر على الديـــار ديار سلمـــى أقبل ذا الجدارا وذا ا الجـــدارا

وما حب الديـــار شغفن قلبـي ولكن حب من سكن الديـــارا[٢]

أو قد يتعلق بآثار معشوقه ويحاول اقتناء مثلها ، قال ابـــن القـــيم : وفي أخبـــار العشاق أن عاشقا عشق السراويلات من أجل سراويل معشوقه فوجد في تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويلات، وعشق آخر الهاونات من أجل صوت هاون محبوبه فوجـــد في تركته عدة آلاف منه.[٣]

أو قد يتعلق العاشق بالمرأة بعد زواجها فينتظر موت زوجها أو طلاقها منه، قـــال الشاعر :

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما أو يموت حليلها[٤]

وقد يكون العشق من جانب واحد ويكون الجانب المعشوق على النقيض تمامـــا فهو قد يبغض عاشقه ولا يطيق النظر إليه ولا يحتمل البقاء معه كما في قصة بريرة مولاة عائشة رضي الله عنها وزوجها مغيث، [٥] وقد تعجب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الأمر ولفت نظر عمه العباس إليه: فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَـــالُ لَـــهُ

---

[١] روضة المحبين ص ٦٨

[٢] روضة المحبين ص ٢٦٢

[٣] روضة المحبين ص ٢٦٣

[٤] التربص: التأني والتأخر، مقلوب التصبر.

[٥] مغيث زوج بريرة وهو مولى أبي أحمد بن جحش الأسدي. [الإصابة لابن حجر، ترجمة: ٨١٧٨]

مُغيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعبَّاسٍ يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ رَاجَعْتِهِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي قَالَ إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ قَالَتْ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.[١]

وقال الشاعر :

فيا رب أشغلهـا بحبي كما بهـــا شغلت فؤادي كي يخف الذي بيا[٢]

وقد يسلو العاشق عن معشوقه بل قد يتحول عشقه إلى بغض، قال ابن الجوزي: حـدثني بعض إخواني عن صديق له: أنه عشق امرأة كانت في نهاية الحسن والجمال، وأنـه كـان يخاطر بنفسه ليجتمع بها.

قال فقال لي يوما: والله لو اجتمعت بها ثم قدمت فضربت عنقي ما باليت، ثم إنه تزوجها، فمضى عليه قليل، ثم طلقها.

قال فمررت يوما أنا وهو في بعض الطريق بحمأة منتنة، فقال لي: يا فـلان، والله لفلانة اليوم أقبح عندي حالا من هذه الحمأة.[٣]

ويكون العشق سببا في عنوسة العاشق سواء أكان ذكرا أو أنثى لأنه يتعلق بمـن عشقه ويرفض الاقتران بغيره ويكون هذا المعشوق قد تزوج وحيل بينـهما وبـين مـا يشتهيان، وقد عزف كل من مجنون بني عامر قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلـى[٤]

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الطلاق باب: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة (انظـر: فتح الباري ج١١ص٣٢٨)

[٢] روضة المحبين لابن القيم ص ٧٩

[٣] ذم الهوى لابن الجوزي ص ٤٨٩

[٤] انظر قصة المجنون في ذم الهوى لابن الجوزي ص ٢٩٤ ــ ٣١٢

وعروة بن حزام العذري،[1] وغيرهم من العشاق عن الزواج بسبب العشق، ورفض الرجال للزواج بسبب العشق أكثر منه في النساء لأن المرأة يجبرها أولياؤها على الزواج بزيد أو عمرو، فلا تستطيع المخالفة غالبا.

وقد تتعلق إحدى النساء بأحد الرجال، وتعرض عليه نفسها مباشرة، وتفاتحه في هذا الأمر صراحة طالبة منه إجابة رغبتها بزواجه منها، أو تراسله عن طريق المرأة المراسلة أو من يقوم مقامها من وسائل الاتصال، في رغبتها فيه، وتعلقها به، ولكن رغبة هذه المرأة بهذا الرجل لا يفيد بالضرورة تعلق الرجل بها أو استجابته لرغبتها، فقد يكون راغبا عنها لأسباب كامنة فيها من قبح ودمامة، أو كبر وتقدم سن، أو استهجانا منه لهذا التصرف منها بجرأتها وإقدامها على خطبته، بينما كان ينبغي عليها أن تلزم قعر بيتها وأن تلتزم الخفر والدلال وأن تنتظر أن يتقدم لخطبتها هو لا هي، أو قد يكون رغبته عنها لأسباب خاصة به، كأن يكون متزوجا ولا يرغب في الزواج من أخرى، أو أنه لا يريد أن يُضِرّ امرأته أو غيرها من أسباب الرفض التي يراها مناسبة في رده لهذه المرأة وعدم استجابته لرغبتها، وتضحيتها بمشاعرها وجرحه لكرامتها.

فإذا لم توفق المرأة في طلبها ولم تظفر بربط حبالها مع حبال هذا الرجل الذي أشغل فكرها ولم تنجح في جمع شملها مع شمله، مع شدة تعلقها به وحرصها عليها، وشدة وقع صدمة رفضه لها عليها، قد تفكر هذه المرأة في العزوف عن الزواج وتركه كلية والنأي عن عالم الرجال والبعد عنه واستئثار أن تكون عانسا كما فعلت أم شريك القرشية العامرية رضي الله عنها التي عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم كما مر علينا في المقدمة، ولم يقبل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتركت الزواج

---

[1] انظر قصة عروة بن حزام في ذم الهوى لابن الجوزي ص ٣١٢ ــ ٣٢٠

وانصرفت عنه، فعن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال كانت أم شريك من بني عامر بن لؤي معيصية وهبت نفسها للنبي فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت.[١]

٨ـ وجود بنات بالبيت لم يتزوجن :

أولا: وجود بنات بالبيت لم يتزوجن بالنسبة للفتى :

الشاب غالبا لا يفكر في الزواج إن كان أمامه ـــ أكبر منه أو أصغر ـــ أخوات عوانس لم يساعفهن الحظ في الزواج وتكون البنات يأملن في أن يتزوجن وتكون الأسرة كذلك فهو يصبر على عزوبته وعدم زواجه انتظارا لنفاق سوقهن فوجود الأخوات في البيت وعدم نفاق سوقهن يؤثر في عدم تزوج الأخ بل إن وجودهن يؤثر في اختياره لزوجته فقد يحبذ امرأة ثيبا على بكر رغبة منه في قيامها بمصالح أخواته ومساعدتهن كما في حديث جابر بن عبد الله: فعَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ نَكَحْتَ يَا جَابِرُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ مَاذَا أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا قُلْتُ لَا بَلْ ثَيِّبًا قَالَ فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ كُنَّ لِي تِسْعَ أَخَوَاتٍ فَكَرِهْتُ أَنْ أَجْمَعَ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةً خَرْقَاءَ مِثْلَهُنَّ وَلَكِنْ امْرَأَةً تَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ قَالَ أَصَبْتَ.[٢]

ومن ضمن المصالح التي يراعيها الشاب في اختياره أن لا تدخل هذه الغريبة بين الأخ وأخواته كما في إحدى روايات حديث جابر في مسلم وغيره: فعَنْ عَطَاءٍ أَخْبَرَنِي

---

[١] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم : ١٢٠٩٩]

[٢] صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب قوله تعالى ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حديث رقم : ٣٧٤٦)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى قوله : (تسع بنات) في رواية الشعبي " ست بنات " فكأن ثلاثا منهن كن متزوجات أو بالعكس.[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٤٤١]

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا جَابِرُ تَزَوَّجْتَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ بِكْرٌ أَمْ ثَيِّبٌ قُلْتُ ثَيِّبٌ قَالَ فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَخَشِيتُ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ قَالَ فَذَاكَ إِذَنْ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكَحُ عَلَى دِينِهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ. [١]

قال السندي: قوله (فهلا بكرا) أي فهلا تزوجت وفي بعض النسخ بكر بلا ألف وهو بالنصب كما هو المشهور رواية ولا عبرة بسقوط الألف خطا في علم الحديث قوله (تلاعبها وتلاعبك) تعليل للترغيب في الأبكار سواء كانت الجملة مستأنفة كما هو الظاهر أو صفة لبكرا أي ليكون بينكما كمال التآلف والتآنس فإن الثيب قد تكون معلقة القلب بالسابق (أن تدخل) أي البكر لصغرها وخفة عقلها (بيني وبينهن) فتورث الفتن وتؤدي إلى الفراق (فذاك) الذي فعلت من أخذ الثيب أحسن وأولى أو خير (إذن) أي إذا كان لهذا الغرض بتلك النية فإن الدين خير من لذة الدنيا. [٢]

وإذا استعجل الشاب الذي له أخوات لم يتزوجن وأراد إعفاف نفسه وإحصانها فإن كثيرا من المجتمعات تعتبر هذا الاستعجال منه نوعا من أنواع العقوق وعدم الوفاء والعرفان والنظرات الذاتية الضيقة.

---

[١] صحيح مسلم، كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، حديث رقم: ٢٦٦٢/ سنن النسائي، كتاب: النكاح، باب: على ما تنكح المرأة، حديث رقم: ٣١٧٤ / سنن ابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: تزويج الأبكار، حديث رقم: ١٨٥٠

[٢] شرح سنن ابن ماجة للسندي، ج ٢ ص ٤١٦

ثانيا: وجود أخوات أكبر من الفتاة لم يتزوجن :

مجتمعنا الإسلامي لا يزال بحمد لله فيه كثير من الصفات الحميدة، والخصال المجيدة الكثيرة، ولنأخذ صفة واحدة من الصفات وهي صفة الترابط وعدم جرح مشاعر الآخرين التي نجدها السمة الغالبة في المجتمع، فقد تكون أسرة لها عدد من البنات تتفاوت أعمارهن كما تتفاوت درجات جمالهن وتعليمهن، فقد تكون الكبرى، على درجة من الجمال ومن توفر المغريات التي ترغب فيها الرجال وتحضهم عليها فيتهافت عليها الرجال الخطاب تهافتا كتهافت الجنادب والفراش على النار، مما يجعل سوق أخواتها قائمة إضافة لنفاق سوقها هي فتكون سببا في تزويج أخواتها ونَفاقهن، أو قد تكون على العكس من ذلك تماما فتكون غاية في القبح والدمامة، أو تكون مصابة بعاهة ككساح أو عرج أو حَوَل وغير ذلك من الأمور التي تزهد المتقدمين إليها وتنقص رغبتهم فيها، وتكون أختها التي بعدها آية من آيات الجمال، فيتحرج المتقدمون من الخطاب من بني عمها وأقاربها وجيرانها والمطلعين على أحوال الأسرة، من أن يتخطوا هذه الكبرى ويتزوجوا الصغرى، ولا يجرؤ أحد منهم ولا يخاطر بخطبة الكبرى لرغبته في الجمال التي تفوقت فيه أختها عليها ومن ثم فإنه يؤثر البحث عن زوجة غيرها من بنات حواء.

وإذا حدث أن تقدم أحد المتقدمين للصغرى فإنها ترفض ذلك بحجة أن أختها الأكبر منها لم تتزوج، وإذا وافقت فإن أهلها لا يوافقون.[1] وإذا وافقت الأسرة على زواج الصغرى فقد يكون ذلك خوفا على عنوسة جميع فتياتها، فتزويج واحدة أفضل من بوار الجميع، كما أنها تشعر بجرح عظيم وتذمم كبير وقد تعتذر للبنت الكبرى علانية وإذا خافت من جرح مشاعرها فكتمت الاعتذار فإنها تعطف عليها عطفا واضحا

---

[1] قد تختلف هذه العادات من بلد لأخر.

وتزيدها برا وعطفا وإكراما أكثر من قبل أن تخطب أختها الصغرى أو تتزوج وكل ذلك بقصد إدخال السرور على قلبها والفرح على نفسها وجعلها تنسى ولا تفكر فيما حدث وتمرره من غير أن يؤثر فيها بشيء.

نقلت وكالة الأنباء الفرنسية (في ١٥ محرم ١٤١٧ الموافق ١٩٩٦/٦/١) خبر إقدام ثلاث أخوات هنديات على الانتحار بتناول مبيد للحشرات؛ لعدم قدرتهن على احتمال فكرة البقاء دون زوج.

وقال ناطق باسم شرطة بومباي: إن الأخوات الثلاث كن يعتبرن أن حظوظهن في الزواج تكاد تكون معدومة، واعتبرن أنهن لا يملكن خيارا آخر سوى الانتحار.

وقد انتحرت الأخوات الثلاث: فيجايانتي (٣٠ عاما) وشاكونتالا (٢٥ عاما) وياموتا سوفارنا (٢٠ عاما) في ضاحية العاصمة الاقتصادية والمالية للهند.

وقال الناطق باسم الشرطة: إن والد المنتحرات الثلاث أعلن أنه لم يتمكن من العثور على زوج لابنته الكبرى، ورفض السماح لابنتيه الأخريين بالزواج طالما لم تتزوج الأولى.

ويذكر أن معظم حالات الزواج في الهند يجري ترتيبها من قبل العائلات التي تختار لأبنائها أزواجا من الفئة نفسها التي تنتمي إليها. وتتزوج الفتيات عادة صغيرات السن.. ويجدن صعوبة في العثور على زوج بعد الخامسة والعشرين.

وحول سيطرة فكرة "لابد من الترتيب وتزويج الكبرى أولا" على بعض الأسر أجرت جريدة عكاظ في العدد ١٠٠٤٣ بتاريخ ٢ شعبان ١٤١٤ هـ تحقيقا مع عدد من الأمهات والبنات والآباء وعلماء الشرع تجاه هذه العادة الغريبة نقتطف من ثناياه بعض الآراء:

رأي يقول: إن الإصرار على زواج الكبرى أولا ينم عن جهل بمتغيرات العصر، حيث إن بعض الآباء والأمهات يصرون على زواج الأخت الكبرى قبل الصغرى، ويغلقون باب التفاهم أمام كل من يتقدم لطلب يد الصغرى خصوصا إذا كانت تتمتع بمميزات تختلف عن الكبرى، فهناك العديد من الأسر التي رفضت زواج الصغرى قبل الكبرى، وكانت النتيجة الموجعة هي بقاء الشقيقتين بلا زواج بعد أن فاتهما قطار العمر.

فتاة أخرى محبطة تحكي أنها عانت من هذا الموضوع حيث تقدم لها عدد من الشباب ولكن والدتها أصرت على زواج أختها الكبرى قبلها، وبعد أن تزوجت الكبرى أصبحت الصغرى بحالة نفسية جعلتها ترفض كل من يتقدم لها.

وجهة نظر تقول: إن الانتظار حتى تتزوج الكبرى من الممكن أن يفوت الفرص الثمينة لبقية أخواتها، وقد تقدم خطبتها بعض الشباب من ذوي المراكز المرموقة، ولكن أسرتها رفضت لحين تتزوج الأخوات الكبيرات، مما جعلها تصاب بإحباط شديد بعد أن فاتت فرص كثيرة لم تجد منها شيئا في المتقدمين بعد ذلك.

وترفض إحدى الأمهات مبدأ زواج الأخت الصغرى قبل الكبرى، لأن هذا التصرف ربما يصيب الكبرى بالإحباط، تحقد على أختها الصغرى.

ويرى أب أن موضوع زواج البنت الكبرى قبل الصغرى يجب إلغاؤه وتهميشه من ذاكرة أفراد المجتمع، لأنه يفتح الباب أمام شبح العنوسة، وقد زوج هذا الأب الابنة الصغرى قبل الكبرى دون أدنى حرج أو خوف من إقدامه على هذا التصرف، لأن الزواج قسمة ونصيب.

وجهة نظر أخرى ترى أن إصرار الأهل على زواج البنت كبرى قبل الصغرى من شأنه أن يفرز مشكلات كثيرة للشقيقتين، إذ إنه من الممكن أن يفوتهما قطار الزواج وتكون المهلة النهائية الندم والدموع لكل أفراد الأسرة التي تقوم بمثل هذا التصرف.

وحول هذا الموضوع يرى د. أحمد سليم عسكر الأستاذ المساعد بقسم الاجتماع بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود أن عزوف الآباء عن تزويج الابنة الصغرى قبل الكبرى ينبع من الإرث الاجتماعي للبيئة وهو بمثابة البوصلة التي توجه أنماط السلوك الجمعي للأفراد والجماعات، وهذا التصرف يحد من العادات والتقاليد البالية، وهو من المؤشرات المعتمة للإرث الاجتماعي، حيث تجر بعض المشاكل الاجتماعية للأسرة مما يؤدي إلى فرط عقد الود بين أفراد الأسرة الواحدة. وللتنشئة الاجتماعية دور كبير في بث أبجديات التربية السليمة بين أفراد الأسرة، كما أن للتوعية والتوجيه عبر وسائل الإعلام المختلفة دورا كبيرا في تهميش مثل هذه الظاهرة، وبهذا تستطيع الأسرة تجاوز هذه الأمور دون أن تؤثر في العلاقات بين أفرادها.

إن الإحجام عن زواج الصغرى قبل الكبرى فيها إجحاف كبير وشديد كما يقول د. جبريل بصيلي المحاضر بكلية الشريعة، كما يجب على الآباء وأولياء أمور البنات عدم القيام بمثل هذا التصرف، لأن ذلك يؤدي إلى ازدياد العنوسة، كما يجب عدم رفض الشخص الكفء سواء جاء للصغرى أو الكبرى، بل على الأب أن يتقي الله في هذه الأمانة التي حملها. [1]

٩ ـ وجود أطفال:

أولا: وجود أطفال بالنسبة للرجل:

لا يؤثر وجود الأطفال كثيرا بالنسبة لرجل له أطفال ولكن يقف الذين تقدم لهم لخطبة ابنتهم أمام هذا الأمر وقفات ما سبب وجود هؤلاء الأطفال أهو موت أمهم وهنا يهون الأمر أم هو سبب طلاق أبيهم لأمهم وقد يفعل ذلك مع ابنتهم كما أنهم يتساءلون ما هي أعمار هؤلاء الأطفال؟ وكم عددهم؟ وكم عمر أكبرهم وأصغرهم؟ وهل هم

---

[1] انظر: العنوسة المشكلة والعلاج تأليف: شقير حمود شقير العتيبي

أولاد أم بنات؟ أم مزيج من الأولاد والبنات؟ وكيف سيكون موقف ابنتهم ووضعها وراحتها مع هؤلاء الأطفال؟

كما أن وجود الأطفال يؤثر على الرجل من ناحية اختياره فهو يرغب كأي شخص راغب في الزواج في صفات وشكل وعمر معين ولكن واقعه يفرض عليه غير ذلك فغالبا أنه لا يوافق عليه من النساء إلا المطلقات والأرامل والعقيمات والمعاقات وكبيرات السن أما الفتيات الصغيرات اللاتي لهن آمال في الظفر بزوج مناسب فلا يوافقن غالبا على أمثال هؤلاء الصنف من الرجال.

وإن كان هذا الأمر لا يعتبر من صميم مشكلة العنوسة لأن صاحب الأطفال سبق أن تزوج ورزق أولادا فقد أمهم نتيجة موتها أو طلاقها.

ثانيا: وجود أطفال للمرأة :

تكون المرأة ذات الأطفال أمام إحدى الخيارات الآتية :

أ ـ رغبة المرأة في الزواج وإحجام المتقدمين لها لوجود الأطفال:

قد يكون من حظ إحدى النساء أن يطلقها زوجها أو تختلع منه لسوء معاملته أو يموت عنها، فتصير خالية من الأزواج وقد تكون خلية من الأطفال أو يترك لها الزوج المتوفى عنها أو المفارق لها عددا من الأطفال، فترغب هذه المرأة في الزواج وتحب أن تقترن بزوج تستظل بظله وتحتمي بحماه وتعيش في كنفه معوضا لها ما ذاقته من سوء معاملة من مطلقها السابق أو مسليا ومواسيا لها من فراق زوجها المتوفى عنها ولكن يعوق هذه الرغبة ويحول بينها وبين تحقيقها أمور عدة منها:

ـ الخوف على أطفالها وكيف سيعاملهم هذا الزوج القادم، وهل سيترك هؤلاء الأطفال أهل الزوج لها ويدعونها تنعم بهم بعد زواجها؟

ـــ عدم رغبة أهل الزوج المتوفى في إتيان شخص آخر يكون في مكـــان ابنـــهم المتوفى رغم أنه كان بإمكانهم أن يزوجوا هذه المرأة من أحد إخوان الزوج المتوفى إن كان له إخوة أو السماح لها بالزواج إن لم يكن له إخوة.

ـــ كراهية كثير من الأبناء والبنات لزواج الأم بعد وفاة أبيهم واعتبار أن ذلـــك عيبا، فعن هشام بن عروة عن رجل حدثه أن امرأة سألت ابنها أن يزوجها فكره ذلـــك وذهب إلى عمر فذكر ذلك له فقال اذهب فإذا كان غدا أتيتكم قال فجاء عمر فكلمها ولم يكثر ثم أخذ بيد ابنها فقال له زوجها فوالذي نفس عمر بيده لو أن حنتمة بنت هشام يعني عمر أم نفسه سألتني أن أزوجها لزوجتها فزوج الرجل أمه.[1]

ـــ قد يوصي الوالد الأبناء بالانتقام من الأم إن هي تزوجت، أنشد ابن الأعرابي لرجل له ولد اسمه غياث أوصاه بالانتقام من والدته إن هي تزوجت بعد وفاته :

غياثُ إذا متُّ وعشتَ بعـــدي وأشرفت أمك للتصـــــدي

وارتقنت[2] بالزعفران الوردي فاضرب فداك والدي وجدي

بين الرعاث ومنـــاط العقـــد ضربة لا وان ولا ابن عبد[3]

والرجال لا يريدون غالبا أن يقترنوا بهذا النوع من النســـاء، مـــن المطلقـــات والأرامل ذوات الأولاد، وذلك للآتي:

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة ج ٤ ص ٤٧، باب: ما قالوا في الرجل يزوج أمه، حديث رقم: ٢٥٦

[2] رقنت الجارية ورقّنت وترقّنت إذا اختضبت بالحناء

[3] لسان العرب مادة رقن ج ٥ ص ٢٩٢

ـــ الغالب على هذا الصنف من النساء أن تكون الواحدة منهن لفوتا، قال الأصمعي: اللفوت التي لها زوج ولها ولد من غيره، وهي تتلفت إلى ولدها، وهي البروك أيضا.[١]

ـــ سيسأل نفسه لماذا لا يأتي بشابة غضة طرية تهتم به وتسعده، فالفتيات الصغيرات كثر، فلماذا يأتي بهذه المرأة ذات الأطفال؟ هل هو جمعية خيرية أو مؤسسة كفالة أيتام؟ ولماذا يرهق نفسه ماديا بالإنفاق عليهم وعلى أمهم ومعنويا بأخذهم واستقطاعهم وقتا من راحته ووقتا من أمهم كان من المفترض أن تنفقه عليه فأنفقته عليهم، وفي نهاية الأمر وخاتمة المطاف يخرج غير محمود ولا مشكور من أمهم ولا منهم فمن المعروف أن الأولاد يكرهون زوج أمهم، كما الغالب على النساء كفران النعم والإحسان، فستأتي هذه المرأة بعد أن يكبر هؤلاء الأولاد وتقول بملء فيها: لقد ربيت أبنائي وحدي ولم يساعدني فيهم أحد بفلس.

ب ـ الإشبال على الأطفال:[٢]

أَشْبَلَت المرأَةُ على ولدها، فهي مُشْبِلٌ: أقامت بعد زوجها وصَبَرَت على أولادها فلم تتزوَّج. وأَشْبَل عليه: عَطَف عليه وأَعانه.[٣]

والأطفال هم ثمرة من أكبر ثمرات الزواج، وهم نعمة من نعم الله عز وجل التي امتن بها على عباده بعامة وعلى الزوجين بخاصة، ووجود الأطفال يسهم كثيرا في ترابط

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ص٣٣٥

(٢) سنستعرض عادات المجتمع في رفضه لزواج المرأة بعد وفاة زوجها ، وتأثم أفراده من ذلك وتحرجهم منه رغم حله.

(٣) لسان العرب مادة شبل/ معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ٥٤٨/ القاموس المحيط للفيروز آبادي باب اللام. فَصْلُ الشِّين

الأسرة وتماسكها وحل المشاكل المعترضة وإزالة الشوائب العالقة وإزاحة العوائق العادية التي تطفو على سطح الحياة الزوجية أحيانا وتثبيت العلائق.[١]

والحياة الزوجية تنتهي بالموت أو الطلاق عند انفصام عرى حياة الزوجين، وإذا اختطفت المنايا أحد الزوجين فإن نظام الباقي من الزوجين سيتغير ويتأثر بفراق رفيقه وينقلب رأسا على عقب ، فمثلا إذا ماتت الزوجة قبل زوجها وتركت أطفالا فإن بعض الآباء يعزفون عن الزواج ويعكفون على أبنائهم ويكونون لهم أبا وأما وأخا وأختا وصاحبا وصديقا، ولكن الرجل الذي تتوفى زوجته غالبا يفكر في الاقتران بأخت زوجته المتوفاة إن وجدت حفاظا على هؤلاء الأطفال لأن خالتهم في مقام والدتهم فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ .[٢]

ومن ثم فلا تقسو عليهم ولا تفكر في إيذائهم وإن لم يكن للزوجة المتوفاة أخت فإن الأب يختار قريبة لها لصيقة بها كبنت عمها أو خالها أو نحوها من أقاربها وكل ذلك من أجل هؤلاء الأطفال وإن أعوزه ذلك فإنه يختار لهم امرأة عاقلة جامعة تكون مظنة للخير والنبل والطيبة وسماحة الخلق ، ويوصيها بأولاده خيرا ويشدد عليها في ذلك واضعا أمامها شروطا إن أرادت الاستمرار معه والعيش في كنفه من أهمها:

الإحسان إلى أولاده وأن الإساءة إليهم ستكون عاقبتها الفراق بينهما ويسألها باستمرار عن معاملتها للأولاد وهل هي تحسن إليهم وهل تكيفت معهم وهل اتخذتهم أبناء لها؟ كما أنه لا ينسى سؤال الأولاد عن مدى ارتياحهم مع هذه الوافدة وهل تحسن

---

[١] انظر : الخلافات بين الزوجين، العقم وتأخر وتأخير الإنجاب.

[٢] صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: كيف يكتب هذا ما صالح عليه فلان بن فلان، وفلان بن فلان، حديث رقم: ٢٥٠١

معاملتهم، وهل هي ظئر رؤوم أم هي سئوم ويسأل الأهل والجيران عنها ويفاجئ البيت بزيارات مفاجئة على حين غرة ليرى كيف تعامل هذه المرأة هؤلاء الأبناء يفعل الأب كل هذه الأفعال ويتصرف كل هذه التصرفات حفاظا على هؤلاء الأبناء وعطفا عليهم وزيادة في الحنان عليهم تعويضا لهم عما فقدوه من وفاة والدهم.

أما إذا كان المتوفى الرجل فإن إخوانه ـــ إن كان له إخوان ـــ عادة يفكرون في الاقتران بزوجة أخيهم حفاظا على أولاده فيجتمع الإخوة ويحددون واحدا منهم ليتزوج بهذه المرأة والباقون يعاونونه ابتداء من تجهيز الزواج والقيام بمستلزماته ـــ ويكون عادة زواجا مبسطا ـــ وانتهاء بالإسهام في المعيشة اليومية وتحس المرأة غالبا بالسعادة إن تم هذا الأمر فهي قد أصبح لها زوج تستظل بظله وتحتمي بحماه وتستدفئ بدفئه ويرعى أبناءها الذين هم أبناؤه لأن العم والد فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ : عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ.[1]

كما أن الأولاد لا يجدون أي غضاضة ولا يحسون بأدنى حرج في زواج أمهم من عمهم، خلافا لمن تزوجت رجلا بعيدا.[2]

أما إذا لم يكن لزوج المرأة أخ أو قريب من أقاربه تقدم للارتباط بها جمعا لشملها وشمل أولادها فإنها تكون أمام عدة خيارات منها:

ـــ أن تتجمل للخطاب وتعرض نفسها عليهم آملة أن تظفر بواحد منهم مضحية بسعادة أبنائها[1] متحدية غضب من حولها ووصفهم إياها بالغلمة والشبق وعدم

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، حديث رقم: ١٦٣٤

[2] انظر : الخلافات بين الأقارب: زواج الأم بعد موت زوجها.

المقدرة على الصبر عن الرجال وأنها لم تنظر إلا إلى نفسها ولم تتأس بهند ودعد وغيرهن ويعدد المجتمع النساء الأرامل اللواتي لم يتزوجن بعد موت أزواجهن وأشبلن على أولادهن، واصفا إياهن بأنهن أصغر منها وأجمل والمتقدمون لهن كانوا أكثر ولكنهن رفضن ذلك وآثرن الصبر وتربية أولادهن. كما أن أولادها قد يتمردون عليها وقد يذهب بهم أقاربهم من أعمام ونحوهم، أو قد يذهبون هم إليهم.

ـ أن تعزف عن الزواج وتقطع الأمل فيه مؤثرة رغبة من حولها على رغبتها إن كانت لها رغبة في الزواج حافظة مشاعر أبنائها بأنها لم تأتهم بزوج يكون في مكان أبيهم.

ـ أن تتزين مع دعواها أنها مشبل وحانية على أطفالها مع أن واقعها يكذب دعواها، ومن أمثال العرب : حانِيَةٌ مُخْتَضِبَةٌ، وذلك أن امرأة مات زوجها ولها ولد، فزعمت أنها تحنو على ولدها ولا تتزوج، وكانت في ذلك تخضب يديها.[٢]

وقد تصبر المرأة ـ وإن كانت صغيرة ـ على أطفالها حتى يكبروا ويأمروها بالزواج إن بدأ لهم ذلك. كما فعلت أم سليم والدة أنس بن مالك فعن أم سليم: أنها آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت : فجاء أبو أنس وكان غائبا، فقال: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكني آمنت! وجعلت تلقن أنسا: قل: لا إله إلا الله قل: أشهد أن محمدا رسول الله ففعل. فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليّ ابني فتقول: إني لا

---

[١] قال مجاهد: كنت في جنازة رجل، فسمعت رجلا يقول لامرأة الميت: لا تسبقيني بنفسك. قالت: قد سبقت. [سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٥٥]

[٢] المستقصى من أمثال العرب الحاء مع الباء ص ٥٦ / مجمع الأمثال، للميداني، ١٠٤٩

أفسده! فخرج مالك فلقيه عدو له فقتله، فقالت: لا جرم لا أفطم أنسا حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس. فخطبها أبو طلحة، وهو يومئذ مشرك،[١] فأبت.[٢]

قال أنس بن مالك: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت إني قد آمنت بهذا الرجل وشهدت بأنه رسول الله فإن تابعتني تزوجتك قال فأنا على ما أنت عليه فتزوجته أم سليم وكان صداقها الإسلام وبه خطب أبو طلحة أم سليم وكانت أم سليم تقول لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس فيقول جزى الله أمي عني خيرا لقد أحسنت ولايتي فقال لها أبو طلحة فقد جلس أنس وتكلم فتزوجها.[٣]

وقد جاءت المبشرات للمرأة المقيمة على أولادها. فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوْمَأَ يَزِيدُ بِالْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ[٤] وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا.[٥]

---

[١] عَنْ أَنَسٍ قَالَ تَزَوَّجَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَكَانَ صِدَاقُ مَا بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامَ أَسْلَمَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ قَبْلَ أَبِي طَلْحَةَ فَخَطَبَهَا فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمْتَ نَكَحْتُكَ فَأَسْلَمَ فَكَانَ صِدَاقَ مَا بَيْنَهُمَا. [سنن النسائي، كتاب النكاح، باب: التزويج على الإسلام، حديث رقم: ٣٢٨٨]

[٢] سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٠٥

[٣] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٢٠٧٣

[٤] السُّفْعَةُ: نوعٌ من السواد ليس بالكثير. وقيل هو سوادٌ مع لون آخر، أراد أنها بذلت نفسها، وتركت الزِّينة والترفُّة حتى شحب لونها واسودّ إقامةً على وَلدها بعد وفاة زوجها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {سفع}]

[٥] سنن أبي داود، كتاب: الأدب باب: في فضل من عال يتيما حديث رقم: ٤٤٨٢/ مسند الإمام أحمد، مسند عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري، حديث رقم: ٢٢٨٨٠

ج ـ خوف المرأة من أذى وإزعاج الأطفال للزوج المتقدم:

قد تتأيم بعض النساء وتترمل من زوجها الذي فارقها وتركها في عز شبابها مخلفا وراءه عددا من الأطفال الصغار ، وتريد هذه المرأة أن تربي أولادها وتخشى من عجزها عن ذلك، وذلك لوفاة عائلها وعائل أولادها ، فهي تريد الزواج من هذه الناحية، وترغب فيه، وقد يتقدم لهذه المرأة خاطب له مكانة عظيمة جدا في نفسها من الحب والتقدير، وله منزلة لا تساميها منزلة بين الناس ، فهو محبوب ومطاع، فيخطبها ويتقدم لها وتكون كلها رغبة في الاقتران به والتعلق بأسبابه ولكنها ترغب عن ذلك حفظا لشعوره ولمكانته عندها فترى هذه المرأة أنها إن وافقت عليه فإن هؤلاء الأطفال الصغار يؤذونه بالبكاء والصياح صباح مساء، والبول عليه كما هو شأن الصبيان الصغار، فهي تشفق عليه من هذا ومن ثم ترفض الاقتران به لهذه العلة، وتؤثر بقاءها من غير زواج إكراما لهذا المتقدم وحفظا له وإيثارا لراحته.

وكان هذا الأمر سببا في رفض إحدى الصحابيات النبي صلى الله عليه وسلم وعدم موافقتها عليه رغم حبها له، وتمنيها له، ولكن حال دون ذلك صبيانها: فعن عَبْد اللَّه بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ خَطَبَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمه يُقَالُ لَهَا سَوْدَةُ [1] وَكَانَتْ مُصْبِيَةً كَانَ لَهَا خَمْسَةُ صبْيَة أَوْ ستَّةٌ منْ بَعْلٍ لَهَا مَاتَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا يَمْنَعُك منِّي قَالَتْ وَاللَّه يَا نَبيَّ اللَّه مَا يَمْنَعُني منْكَ أَنْ لَا تَكُونَ أَحَبَّ الْبَرِيَّة إلَيَّ وَلَكنِّي أُكْرمُكَ أَنْ يَضْغُوَ هَؤُلَاء الصِّبْيَةَ عنْدَ رَأْسكَ بُكْرَةً وَعَشيَّةً قَالَ فَهَلْ مَنَعَك منِّي شَيْءٌ غَيْرُ ذَلكَ قَالَتْ لَا وَاللَّه قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ

---

[1] السَّوْدُ: سَفْحٌ من الجبل مُسْتَدِقٌّ في الأرض خَشِنٌ أسود، والجمع أسوادٌ، والقِطْعَةُ منه سَوْدةٌ وبها سميت المرأة سَوْدَةَ. [لسان العرب مادة : سود]

يَرْحَمُكِ اللَّهُ إِنَّ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ [١] عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرٍ وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ بِذَاتِ يَدٍ.[٢]

وإذا وافقت المرأة ذات الأطفال على الزواج فإن أهلها يراقبون أطفالها ويحولون بينهم وبين إيذاء الزوج كما فعل أولياء أم سلمة معها: فعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ أُمَّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي تَعْنِي شَاهِدًا فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ فَقَالَتْ يَا عُمَرُ زَوِّجْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنِّي لَا أَنْقُصُكِ مِمَّا أَعْطَيْتُ أَخَوَاتِكِ رَحَيْنِ وَجَرَّةً وَمِرْفَقَةً مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيهَا لِيَدْخُلَ بِهَا فَإِذَا رَأَتْهُ أَخَذَتْ زَيْنَبَ ابْنَتَهَا فَجَعَلَتْهَا فِي حِجْرِهَا فَيَنْصَرِفُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلِمَ ذَلِكَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَكَانَ أَخَاهَا مِنْ الرَّضَاعَةِ فَأَتَاهَا وَقَالَ أَيْنَ هَذِهِ الْمَشْقُوحَةُ[٣] الْمَقْبُوحَةُ الَّتِي قَدْ آذَيْتِ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهَا فَذَهَبَ بِهَا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِبَصَرِهِ فِي نَوَاحِي الْبَيْتِ فَقَالَ مَا فَعَلَتْ زَنَابُ فَقَالَتْ جَاءَ عَمَّارٌ

---

[١] أحناه على " بمهملة ثم نون من الحنو وهو العطف والشفقة " وأرعاه " من الرعاية وهي الإبقاء، قال ابن التين : الحانية عند أهل اللغة التي تقيم على ولدها فلا تتزوج ، فإن تزوجت فليست بحانية. [فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٦١٧]

[٢] مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم : ٢٧٧٤

[٣] قال ابن الأثير: المشقوح: المكْسُور، أو المُبْعَد، من الشَّقْح: الكسر أو البعد.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {شقح}]

فَأَخَذَهَا فَذَهَبَ بِهَا فَدَخَلَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهَا إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي.[١]

وعندما يكبر أبناء المرأة قد تفكر في الزواج كما فعلت أم سليم، وكما عرضت أم هانئ نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر بن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب أم هانئ وخطبها منه هبيرة فزوج هبيرة فعاتبه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يا بن أخي إنا قد صاهرنا إليهم والكريم يكافئ الكريم ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت والله إني كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام ولكني امرأة مصبية فأكره أن يؤذوك فقال خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد الحديث وأخرج بن سعد بسند صحيح عن الشعبي قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم أم هانئ فقالت يا رسول الله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج فقال فذكر الحديث ومن طريق أبي نوفل بن أبي عقرب قال خطبها فقالت لولدين بين يديها كفى بهذا رضيعا وبهذا ضجيعا فذكر الحديث وهذان مرسلان ومن طريق السدي عن أبي صالح مولى أم هانئ قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم أم هانئ فقالت إني مؤيمة فلما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه فقال أما الآن فلا لأن الله أنزل عليه في قوله ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ﴾[٢] ولم تكن من المهاجرات.[٣]

---

[١] مسند الإمام أحمد، مسند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم : ٢٥٣٢٠

[٢] سورة الأحزاب آية : ٥٠

[٣] الإصابة، ترجمة : ١٢٢٨٥

١٠ـ الطلاق :

أولا: الطلاق عند الفتيان:

قد يحدث طلاق بين زوجين وهذه شيء طبيعي فالحياة اجتماع كما أنها افتراق، وقد يكون سبب الطلاق الزوجة وذلك بطلبها المباشر له والإلحاح فيه كما فعلت النوار زوجة الفرزدق معه: قال أبو شفقل عبيد راوية الفرزدق: أتتني النوار فقالت: كلم هذا الرجل أن يطلقني. قلت: وما تريدين إلى ذلك؟ قالتْ: كلمه. قال: فأتيت الفرزدق فقلت: يا أبا فراس، إن النوار تطلب الطلاق. فقال ما تطيب نفسي حتى أشهد الحسن، فأتى الحسن فقال: يا أبا سعيد أشهد أن النور طالق ثلاثا. قال: قد شهدنا. قال فلما صار في بعض الطريق قال: طلقتك؟ قالت: نعم. قال: كلا. قالت: إذن يخزيك الله عز وجل يشهد عليك الحسن وحلقته فترجم، فقال:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

فكنت كفاقئ عينيه عمدا ... فأصبح ما يضئ له النهار

ولو أني ملكت يدي وقلبي ... لكان عليَّ للقدر الخيار

وما طلقتها شبعا ولكن ... رأيت الدهر يأخذ ما يُعار[1]

وقد تتعنت المرأة وتجبر زوجها على الإقدام على الطلاق والتلفظ والتفوه به، بل خديعته أحيانا واستلال الطلاق منه استلالا كما فعلت أم كلثوم بنت عقبة مع زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه.[2]

---

[1] مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٤٥ ــ ١٤٦

[2] انظر : الطلاق وآثاره في الخلافات بين الزوجين

كما أن الزوج قد يكون سببا فيه لأننا لا نريد أن نحمل كل حدوث طلاق للمرأة كما أننا لا نريد استقصاء أسباب الطلاق وكيفية تداركها والتحرز منها فهي مبسوطة في غير هذا المكان ولكن نريد أن نتناول أثر الطلاق في العنوسة هذا إذا اعتبرنا المطلقة عانسا ومن المعلوم أن العرب لا يصنفون المطلقات من ضمن العوانس لأن لها تجربة زوجية سابقة بغض النظر عن نجاح هذه التجربة من فشلها كما مر بنا في تعريف العنوسة.

والرجل عند تفوهه بكلمة الطلاق وتلفظه بها فإن الأمر عنده ينتهي بذلك وقد يتزوج مباشرة بعد طلاقه ويجد امرأة ولكن زواجه قد يتعثر ويصعب بعض الشيء إذا كثر طلاقه للنساء وتعددت مراته فإن تقدم لمن حوله ممن يعرفون حاله فإنهم يتحفظون في إعطائه بناتهم لأنهم يكونون قد صنفوه ووضعوه من مجموعة الرجال الذواقين المطلاقين الذين لا يطمئن لهم قرار ولا تستقر بهم دار مع زوجة فترة من الزمن فهم إن عاش الواحد منهم مع امرأة شهرا اعتبره فترة كافية لفراقها فيستبدل بها غيرها وإن كانت أقل من زوجته التي فارقها جمالا وعلما وأكبر عمرا وأكثر قبحا ولكنه تحت نشوة التغيير وحبه فكل شيء يحتمل والنساء الراغبات في الزواج المنتظرات للأزواج فإن الواحدة منهن تتساءل عند تقدم رجل طلق من قبل لها: لماذا طلق هذا الرجل؟ وما هي أسباب ذلك؟ وهل سأنفع أنا معه أم سيكون مصيري كمصير سابقتي أو سابقاتي إن كن أكثر من واحدة ؟ وهل سيوفق معي؟ ولعله من الملولين الذين لا يصبرون على الأصحاب أو هو من المزواجين المطلاقين الذين لا يقرون على قرار ولا يهدأ لهم بال فيه خصلة من خصال إخوان القردة والخنازير الذين لا يصبرون على طعام واحد بني إسرائيل الذين لم يصبروا على طعام واحد فاستبدلوا المن والسلوى بالعدس والبصل والأدنى مع أنه أدنى وأخس مما

كان عندهم ومما كانوا فيه من حالة قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [1] ومن ثم فقد ترفضه الواحدة منهن.

وإذا طلق الرجل مرة أو مرتين فإن المجتمع يقبل منه هذا وإذا زاد على ذلك فإنه يضع العيب والتقصير فيه ويكيل اللوم له ويرفض إعطاءه بناته ولكن الرجل يمكنه التغلب على هذه المشكلة ـــ رفض النساء له ـــ غير المعضلة بالذهاب إلى مكان آخر لا يعرف فيه أحد من الناس عن حقيقته وأمره شيئا ولا عن حياته السابقة وقد يجد امرأة في نفس بلده ومن ضمن معارفه بل قد تكون من أقاربه ولكن تكون من اختارها من النساء غالبا أقل من اللاتي فارقها أو اللواتي فارقهن أو قد يجد من نطيحات النساء ومترديات من وما أكل الدهر من مطلقات وأرامل ومعاقات يرين فيه تطبيق قول القائل: زوج من عود خير من قعود فتوافق عليه إحداهن لأنها متأكدة أنها لن تجد غيره.

كما أن بعض أفراد المجتمع وشذاذه يتواصون باستخدام الطلاق والإكثار منه.[2] أما المرأة فإن الأمر يختلف عندها فهي إذا كانت مطلقة طلقة رجعية فإنها تعتد ثلاثة أشهر ويكون لبعلها الحق في إرجاعها خلال عدتها شاءت أم أبت ، أما إذا كان الطلاق بائنا بينونة كبرى وكانت خلية من وجود شيء في رحمها فإنها تتربص بنفسها ثلاثة قروء

---

[1] سورة البقرة آية ٦١

[2] انظر الطلاق وآثاره في كتاب: الخلافات بين الزوجين للمؤلف

وهي ثلاثة أشهر، قال الله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [١] أما إذا كانت حبلى فإنها تتربص بنفسها حتى ولادتها سواء أطالت المدة عن عدة الطلاق ــ الثلاثة الأشهر ــ أم قصرت عنها. قال الله تعالى ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [٢]

وبعد انتهاء عدتها فإنها تتجمل للخطاب وتنتظر الأزواج ، هذا إن لم تكن قد عزفت عن الزواج لأن بعض النساء يعزفن عن الزواج بعد طلاقهن من أزواجهن السابقين أو موتهم لعدة أسباب :

ــ إن كانت المرأة على درجة من الموافقة والمواتاة مع زوجها واخترمته المنية فإنها تعزف عن الزواج امتنانا له وحفظا لمكانته عندها وطمعا أن تجتمع معه يوم القيامة، لأنه قد بغض لها الرجال، بل بغض لها الحياة بأسرها.[٣]

ــ قد تمتنع المرأة المطلقة عن الزواج لمعاناتها مع زوجها معاناة كبيرة انتهت بطلاقها منه، ونالت الطلاق منه بشق الأنفس بمحاكم وقضاء واختلاع، وبذل مال منها

---

[١] سورة البقرة آية ٢٢٨

[٢] سورة الطلاق آية ٤

[٣] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: عن أبي البركات يحيى بن عيسى بن إدريس، كان زاهدا عابدا ورعا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ورزق أولادا صالحين وحفظهم القرآن كلهم بنفسه وختم خلقا كثيرا وكان هو وزوجته يصومان الدهر ويقومان الليل ولا يفطران إلا بعد العشاء وكانت له كرامات ومنامات صالحة ولما مات قالت زوجته: اللهم لا تحيني بعده فماتت بعده بخمسة عشر يوما. [البداية والنهاية لابن كثير، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج ١٢ ص ٢٥٦]

ومن أهلها ناله منها زوجها، ومن ثم أطلق سراحها، فهي لا تريد أن تكون أسيرة زوج آخر يكون كسابقه أو شرا منه فهي تعزف عن الزواج خوفا من تكرار التجربة.

ـ أن يكون لها أولاد من زوجها الذي طلقها أو الذي مات عنها، وهي ترغب في الزواج حقيقة ولكنها تخشى من أهل زوجها إن كان ميتا ومنه إن كان مطلقا لها أن ينتزعوا منها هؤلاء الأولاد، فوازنت بين الأمور فآثرت عدم الزواج حفظا لأولادها وصونا لنفسها من أن تطالها ألسنة الناس بأنها تركت أولادها واستغنت عنهم وذهبت تبحث عن الأزواج.

قلنا إن بعض النساء بعد انتهاء عدتها قد تتجمل للخطاب وتنتظر الأزواج. وتستعد لهم نفسيا وقد يكون عمليا بشراء بعض لوازم البيت من متاع وأثاث وعدم التفريط فيما عندها مما تحصلت عليه في حياتها الماضية مع زوجها أو مما اشتراه لها أبوها.

فإن كانت خرجت من زواجها هذا من غير أولاد فهذا في ظنها وظن كثير ممن حولها ـ إن كان الطلاق تم مبكرا ـ أن هذا من حسن حظها، لأن زواجها سيسهل ويقل أو تنعدم أي بوادر رباط و رجوع لزوجها الأول، فهي تمني نفسها أن تكون زوجة مع بعل يسعدها ويسعى لراحتها وتحاول هي بدورها أن تسعده وقد ترضى بأن تكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة.

أما إن كان لها أولاد فإن زواجها سيكون أكثر صعوبة والمتقدم لها يكون أكثر مغامرة أو استهتارا في نظر المجتمع.

لأن بعض المجتمعات لها نظرة خاصة للمطلقات بل يتواصى أفراد المجتمع بهذه السياسة غالبا، عاقلوه وغيرهم[١] وقال الشاعر:

لا تنكحن عجوزا أو مطلقة ولا يسوقنها في حبلك القدرا

وإن أتوك فقالوا : إنها نصف فإن أطيب نصفيها الذي غبرا[٢]

فالشباب غير المتزوجين من قبل عادة لا يتزوجونهن والمجتمعات لا تترك الصغار وشأنهم إذا تزوجوا من مطلقات يصفهم المجتمع أن الواحدة منهن في عمر أم الزوج وإن كانت هي في الحقيقة أصغر منه أو في مثل عمره ولذا فإنهم يتساءلون: ما الدافع لهذا الزواج؟ وما سببه؟ وهل انتهت النساء الأبكار [٣]الناعمات الغضات الهينات اللينات البض البيض الغريرات [٤]اللاتي هن في عمر الزهور بل أصغر وأنضر ولم تبق إلا تلك العجوز التي يجب التخلص منها وطلاقها إن كانت متزوجة. قال رؤبة بن العجاج:

---

[١] أراد رجل النكاح فقال: لأستشيرن أول من يطلع ثم لأعملن برأيه، فكان أول من طلع عليه هبنقة القيسي، وهو راكب على قصبة فقال له: إني أردت النكاح فما تشير علي؟ قال: البكر لك والثيب عليك وذات الولد لا تقربها واحذر جوادي لا ينفحك.

[٢] لسان العرب لابن منظور ، ج ٦ ص ٤٩١٦ / فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ، ص ٦٠

[٣] قال ابن الأثير : ومنه الحديث : عليكم بالأبكار فإنهنّ أغَرُّ غُرَّةً يَحْتَمِل أن يكون من غُرّة البَياض وصَفاء اللّون ، قال الهروي: وذلك أن الأُيمة والتعنيس يحيلان اللون ، ويَحْتَمل أن يكون من حُسْن الخُلُق والعِشْرة، ويؤيدُه الحديث الآخر: عليكم بالأبكار فإنّهنّ أغَرُّ أخلاقا أي أنّهنّ أبْعَدُ من فِطْنة الشَّرّ ومعرفته، من الغِرَّة: الغَفْلة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {غرر}]

[٤] البَيْضاء الغَرِيرة : هي الشّابَّة الحديثة التي لم تُجَرِّب الأمور.

إذا العَجوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ ولا تَرَضّاهـــا ولا تَمَلَّقِ

واعمدْ لأخرى ذاتِ دلٍ مونقِ لينةِ المسِّ كمسِّ الخِرْنقِ[1]

إذا مَضَتْ مثل السياط المشَقِ[2]

فلماذا اقترن هذا الغبي الفدم بهذه المرأة العجوز المدبرة أم أن وراء الأكمة ما وراءها وأن له مأربا خفي عنا فهي لو كان فيها خير لحافظت على زوجها ولما طلقهـا وإلا فلمـاذا يستثمر هذا الشاب الأرض البور البلقع ولماذا يستزرع هذا الشاب الصخر ويستصـلح الصحراء ويستمطر الجهام فالزواج استثمار ركنه وأسه الاستثمار في الإنسان وهو أعظم بناء وأكبر استثمار.

ومن هذه النظرة القاتمة السوداء من المجتمع للمطلقة أصبحت المطلقة من نصيب الرجال كبار السن والشيوخ المهدمين المخطمين وذوي الزوجات المتعددات وأشـخاص ورعاع وأوباش ونكرات ورويبضات لم يكونوا يطمعوا فيها عندما كانت بكرا ويرون أن لهم حقا في ذلك فهي أيم قد مل منها وملت قال الشاعر :

لا تنكحن [3]الدهر ما عشت أيما[4] مجربة [5]قد مل منها وملـت[1]

---

[1] الخِرْنِقُ، كزِبْرِجٍ: ولد الأَرنب، يكون للذكر والأُنثى؛ وقيل: هو الفَتِيُّ من الأَرانب. [لسان العرب. مادة: خرنق]

[2] المَشْقُ سُرعة الطعن والضرب والأكل والكتابة وبابـه نصـر وجاريـة مَمْشُـوقَةٌ أي حسـنة القوام. [لسان العرب، مادة : رضا / مختار الصحاح، مادة: مشق]

[3] أراد بالنكاح العقد أي لا تتزوج

[4] الأيم من النساء التي فارقها زوجها بموت أو طلاق

[5] مجربة رواية اللسان وجاء في الحماسة : مخرمة أي كثر الدعاء عليها أن تخترمها المنية أي تأخذها

تحك قفاها [٢] من وراء خمارهـــا إذا فقدت شيئا من البيت جنت [٣]

تجود برجليها [٤] وتمنع درها [٥] وإن طلبت منها المودة هـــرت [٦]

كما أن المطلقة في كثير من المجتمعات تكون مطمعا لقضاء شهوات الرجال وهم أجرأ على مراودتها والنيل منها من البكر وذات الزوج والأرملة وبعض الرجال يتـــزوج المطلقات ليحذو بهن ما حذاه أسلافهم من أزواج قاموا بطلاقهن. قال الأصمعي: سمعـــت بعض الهلاليين يقول لبنيه: يا بني، تزوجوا المطلقات فـــإنهن أضـــعف النســـاء، وإنكـــم لتضربوهن برؤوسهن بمن كان قبلكم. [٧]

ثانيا: الطلاق عند الفتيات :

طلاق المرأة قد يكون سببا من أسباب عنوستها فقد تكون المرأة فروكـــا عنـــد زوجها صلوفا في المكوث والمقام معه، فيطلقها زوجها وقد تتزوج مرة أخرى ولا يكتب لها النجاح في زواجها فتسعى لعتق نفسها وإخراجها من هذا الفخ الذي وقعـــت فيـــه ويكون سعيها للخلاص والفكاك من هذا الزوج كسعيها للزواج والرغبة فيه من قبل أو

---

[١] قد مل منها وملت، يريد أنها طعنت في السن وقضت مآرب الشهوات وقضيت منها

[٢] تحك قفاها أي من وسخها وكثرة القمل عليها

[٣] قوله إذا فقدت شيئا الخ أي إذا فقدت ما لا قيمة له ولا خطر كان عندها كالشيء الذي لا عوض عنه فيصيبها كالجنون

[٤] تجود برجليها الخ هذا مثل أي تسرع بشرها وتمنع خيرها

[٥] وتمنع درها أي خيرها

[٦] هرت نبحت مثل الكلاب والمعنى ظاهر [ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٢٣٧]

[٧] ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار ، لابن قطعة ، ص ٣٣٧

أشد وقد يكون من سوء طالع هذه المرأة أن زوجيها الذين طلقاها سيئان فلم تطقهما ففركتهما وأرادت الخلاص منهما والانعتاق من شرهما ولكن المجتمع لا يصدق أن الزوجين الاثنين سيئان وأنها هي الحسنة الأخلاق وأنها مبرأة من كل عيب فكأنها خلقت كما تشاء، وأن الزوجين الاثنين ظلماها فلم يراعيا حقها ولم يعرفا قدرها وأنها قد أحسنت إليهما وأكرمتهما ولكنهما قابلا إحسانها بالإساءة ومعروفها بالكفران وجميلها بالنكران ويرى المجتمع أن هذه المرأة ذواقة ملولة تحب تغيير الأزواج بإقلاق راحتهم والاختلاع منهم فيستنكف الراغبون في الزواج عن التقدم إليها ويكف الخاطبون عن التفكير فيها لأنها قد طلقت من زوجها الأول، وأنها أجبرته على فراقها إجبارا وأكرهته على طلاقها إكراها، وقهرته قهرا وقسرته قسرا على ذلك، وأنها قد اختلعت من زوجها الثاني اختلاعا لأنها طمحت وجمحت[1] من زوجها ويزيد المجتمع وينسج من منواله على هذه المرأة المسكينة ويكون حقيقة الأمر وواقع الحال خلاف ذلك تماما.ومن ثم تؤثر هذه الدعايات والترهات في ميول الراغبين في الزواج فلا يتقدم منهم أحد لهذه المرأة ومن ثم لا تظفر بواحد من الراغبين في الزواج لأنهم آثروا التقدم لغيرها.

ومن محاسن هذا الأمر أنه قد يكون سببا لأن يتمسك زوجات أخريات بأزواجهم ويتشبثن بهم رغم ما فيهم من علل وظلم وعسف وجور وتوجيه إهانات لهن

---

[1] جمح: جَمَحَت المرأةُ تَجْمَحُ جِماحاً من زوجها: خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها، ومثله طَمَحَتْ طِماحاً؛ قال:

إذا رأتني ذاتُ ضِغْنٍ حَنَّتِ وجَمَحَتْ من زوجِها وأَنَّتِ

[لسان العرب، مادة: جمح]

خشية إذا فرطت الواحدة منهن في زوجها وطلقها أن يكون مصيرها كمصير فلانة التي طلقها زوجها فجلست في بيت أبيها حتى فاتها قطار الزواج، ولم تسلم من لسان المجتمع.

١١ـ كثرة اللقاءات بين الخطيبين:

كانت الخطبة في السابق تتم لتعرف أن هذه الفتاة محجوزة لزيد فلا يتقدم لها عمرو ولا بكر حتى يمضي زيد في هذا الأمر أو يترك، وتأثر بعض المسلمين بعادات علوج أوربا،[١] من اختلاط وغيره من سيئ العادات ، فصار الخطيبان يلتقيان بغية تعرف كل واحد منهما على الآخر ، وقد تزيد هذه اللقاءات وتكثر وتطول مدتها حسب قوة المخطوبين وهشاشتهم، وتمسكهم بدينهم أو تفريطهم فيه، ولكن لنعلم أن كثرة اللقاءات تظهر أخطاء الخطيبين ويضخمها شياطين الجن والإنس والناصحون لكلا الخطيبين وكان يمكن لهذه الأخطاء والملاحظات أن تغفر وأن تستر بدلا من أن تذاع وتشهر إذا كان الزوجان قد تزوجا، أما وهما على بر السلامة والخلو من الارتباطات والأمن من تبعات المسئوليات فإن الأمر يختلف، وليس معنى ذلك أن لا يتحرى الإنسان في بحثه عن شريكة حياته وأن لا تتحرى البنت في بحثها وبذل جهدها في الاستقصاء عن شريك حياتها وانتقائه وتمحيصه من غير وضع صفات خيالية لأنه لا يوجد شخص مكمل من كل النقائص والعيوب، سليم من كل الهنات والآفات وقد أحسن من قال:

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء فضلا أن تعد معائبه [٢]

---

[١] العِلْج الرَّجُل من كُفار العَجم وغيرهم، والأعْلاج: جَمْعه، ويُجْمَع على عُلُوج، أيضا.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {علج}]

[٢] قرى الضيف ج ١ ص ١٨١

فيا أيها الرجل اعلم أن المرأة خلقت من ضلع أعوج وأنها لا تستقيم على طريقة واحدة واعلمي أيتها المرأة إنه يوجد رجال ذواقون ملولون يحبون التغيير والتجديد يجلسون مع هذه فترة بقصد الخطوبة حتى إذا ملوها ذهبوا إلى غيرها وهكذا دواليك.

كما أن هذه اللقاءات لا تؤمن نتيجتها فقد تتوج بحدوث الفاحشة لإمكان حدوث الخلوة وأن يكون الشيطان جليسا ثالثا لهما : فعَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا.[1]

وبعض الذئاب من الرجال يخدع نعجته ويسوقها إلى حتفها برجليها ويجعلها تبحث عن المدية بأظلافها ويذبحها بها بعد ذلك[2] فينمق لها الكلام ويوشي لها الحديث وينمنم ويزخرف لها القول ، ويسايسها ويداريها، ويخدعها بمعسول كلامه ولكن حقيقته أن السم الزعاف وراء حديثه ، قائلا لها: إنه سيكون زوجها المرتقب وفارس أحلامها المرجو وبعلها المنتظر وأن قبلة منها ستعطيه زادا يساعده في مسيرة الإعداد لهذا الزواج الميمون المبارك والذي بقي منه أقل من ما ذهب وأنه لا بأس من غمزة في خلوة من أعين الناس فهو سيكون عبدا لها وستكون هي أمة له وسيكون بعلها وستكون زوجه.

فما تظن بهذه الفتاة أمام هذه الأقوال المعسولة أظنها تكون كما قال بعض الأعراب:

ما يُظن بليلى إذا ألم بها مرجّل الرأس ذو بردين مزاح

---

[1] مسند الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، أول مسند عمر بن الخطاب، حديث رقم: ١٠٩

[2] قيل: كالباحث عن المدية، وأصله أن رجلا وجد صيدا، ولم يكن معه ما يذبحه به، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض فسقط على شفرة فذبحه بها. [مجمع الأمثال للميداني ج ٢ص ١٣٥]

حلو فكـــاهته خز عمامتـــه في كفه من رقى إبليس مفتاح[١]

فتصدق المسكينة هذه الأقوال وتعطيه ما أراد وتمكنه مما أحب وإذا نال منها مـا نال طمع في أكبر من ذلك لأنه لو نهي عن الأولى لما عاد إلى الثانية،[٢] وما أشـد فطـام الكبير[٣] ويذكر لها أن لصديقه زيدا شقة فارغة، ولعمرو وبكر كذلك، وهم يأتون دائما بمخطوباتهم، ويقضون أوقاتا ممتعة، فلماذا لا نفعل مثلهم، ونذهب فلا بأس من الـذهاب إليهم لنكون بعيدا عن أعين الرقباء من بغضاء هذا المجتمع ومتخلفيه. ويصب جام غضبه على تقاليد المجتمع، وأن بلاد الخواجات لا غضاضة فيها أن يقابـل الشـخص خطيبتـه وعشيقته وأن يفعلا ما شاءا، ولكن في بلادنا لا بد لهذه التقاليد البالية أن تزول ولابد أن نسهم في إزالتها فهي لن تزول لوحدها، ولا بعصا سحرية، ولكن لا بد أن يكون لنا دور في ذلك وقد جاء دورنا الآن وواتتنا الفرصة فلنغتنمها فإن الفرص عادتها أن تأتي في قلتها كالفلتة، وأن اللذات إذا لم تغتنم فستذهب، فلنبادرها ولا نبك عليها بعد فواتها لأنها لن تعود، قال العتابي:

---

[١] عيون الأخبار ، المجلد ٢ ج٤ ص ١١١

[٢] قيل: لو نَهَيْتُ الأولى لانتهت الثانية، قاله أنس بن الحجير الإيادي لما لطمه الحارث بن أبي شمـر لطمة بعد لطمة، والمعنى لو عاقبتك بأول ما جنيت لم تجترئ عليّ.[مجمع الأمثال للميـداني ج ٢ ص ١٦١]

[٣] قال مالك بن دينار: ما أشد فطام الكبير. [الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ١٠٠]

بادر إلى اللذات مهما أمكنت بورودهن بوادر الآفات
كم من مؤخر لذةٍ قد أمكنت لغد وليس غد له بموات
حتى إذا فاتت وفات طلابها ذهبت عليها نفسه حسرات
تأتي المكاره حين تأتي جملة وترى السرور يجئ في الفلتات[1]

فلنقض ما أردنا ونكون قد أسهمنا في إزالة تقاليد المجتمع، وأن هذه المجتمع يحتاج للجسورين حتى يفوزوا بما شاءوا.

فلنذهب إلى هنالك ولننظر إلى خالد ومخطوبته، وتستسلم هذه الغريرة لقوله، وتبرر بينها وبين نفسها أن هذا الذهاب حدث بعيدا عن أعين والديها وإخوتها فلا ضير ولا خوف منه، ولا خطر ينالها من جرائه، فهو خطيبها وسيتزوجان قريبا جدا.

ولا ينسى هذا الذئب الماكر عندما تذهب هذه النعجة إلى هذا الوكر أن يقول لها: إن المصافحة قد استحلها فلان وفلان فهي لا غبار عليها وأما الخلوة المأمونة فهي مأمور بها حتى إن العلماء قد اختلفوا في القبلة، وأما الغمزة فهذه من اللمم التي رخص الله فيها وذكرها في كتابه، فقال ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[2] وقد استعملها السابقون مع السابقات قال وضاح اليمن:

---

[1] محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ج ٢ ص ٦٧٣

[2] سورة النجم آية ٣٢

إذا قلت هاتي نوليني تبسمت وقالت : معاذ الله من فعل ما حرم

فما نوّلت حتى تضرعت عندها وأعلمتها ما أرخص الله في اللمم[١]

وهذه الأمور لا بأس بهما وأن من راقب الناس مات هما ، قال بشار بن برد :

لا خير في العيش إن دمنا كذا أبدا لا نلتقي وسبيل الملتقى نهج

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم ما في التلاقي ولا في غيره حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج[٢]

وينصب هذا الذئب نفسه مفتيا، قال الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون قال: أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح اليمن:

فما نولت حتى تضرعت حولها وقرأتها ما رخص الله في اللمم

فضحك محمد وقال : إن كان وضاح لمفتيا في نفسه.[٣]

وينسيه الشيطان في خضم شهواته أنه يحلل بذلك حراما مما يجعل حاله يتحول من فسق ارتكاب المعصية إلى الكفر لتحليله الحرام. قال أبو جعفر الطحاوي: ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.[٤]

---

[١] بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٢٧٦

[٢] معاهد التنصيص ج ٤ ص ٢٦ ــ ٢٧

[٣] روضة المحبين لابن القيم ص ٣١٩

[٤] شرح الطحاوية الميسر للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميّس ضمن سلسلة رسائل ودراسات في منهج أهل السنة والجماعة، دار الوطن الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ص ٦٥

وإذا ثارت ثائرة هذه الفتاة ورفضت طلبه بشدة وهذا شيء طبيعي في النساء العفيفات فإنه سيصبر عليها فعسر النساء إلى مياسرة، ويتبع أسلوب المسايسة والمراوضة مع هذه الناقة العروض، [١] ويعاود هذا الذئب الماكر محاولاته مرة بعد مرة وكرة بعد كرة حتى تذعن هذه النعجة المسكينة وتمكنه من نفسها. ويكون في ذلك محتذيا بأمثاله من الفاجرين السابقين: قال أحد الشعراء: أتيت بشارا الأعمى وبين يديه مائتا دينار فقال لي: خذ منها ما شئت، أو تدري ما سببها؟ قلت: لا، قال: جاءني فتى فقال لي: أنت بشار؟ فقلت نعم. فقال: إني آليت أن أدفع إليك مائتي دينار وذلك أني عشقت امرأة فجئت إليها فكلمتها فلم تلتفت إليَّ فهممت أن أتركها فذكرت قولك:

لا يوئسنك من مخبأة ... قول تغلّظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا

فعدت إليها فلازمتها حتى نلت منها حاجتي. [٢]

وعندما تذهب معه لا تجد زيدا ولا فتاة مع أحد فتحاول أن تتخلص من مما هي فيه فتجد نفسها قد حيل بينها وبين ما تحب.

فيفجر بها ثم بعد ذلك يتنمر لها ويهرب منها ويزهد فيها لأن الزانية أول ما تسقط تسقط في عين من زنى بها، ويهددها بأنه سيفضحها إن لم تطاوعه في كل وقت وفي

---

[١] قال ابن السكيت: ناقة عَرُوضٌ إذا قَبِلَتْ بعض الرياضة ولم تَسْتَحْكِم؛ وقال شمر في قول ابن أحمر يصف جارية:

ومَنَحْتُها قَوْلي على عُرْضِيَّةٍ ... عُلُطٍ، أُداري ضِغْنَها بتَوَدُّدِ

قال ابن الأعرابي: شبهها بناقة صعبة في كلامه إياها ورفقه بها. [لسان العرب، مادة : عرض]

[٢] الأغاني ج ٣ ص ١٠٥٤ ــ ١٠٥٥

أي مكان، ومتى أراد وأين ما شاء فتتحطم هذه المسكينة وتكون أسوأ حالا من بـــراقش، فبراقش جنت على أهلها أما هي فقد جنت على نفسها وعلى أهلها وعلى مجتمعها علـــى السواء [١] ثم بعد ذلك تكون هذه البنت فريسة لأمور عدة منها:

أ ـــ ذهاب بكارتها، وهذا ما سيعرف عند زواجها إن تزوجت.

ب ـــ جعلها لهبا لحديث الناس وغرضا لرمي سهامهم:

ـــ لماذا ترك هذا الرجل هذه البنت؟

ـــ وما سبب ذلك أهو لم يرض شيئا من أخلاقها وسلوكها؟ فهي سليطة اللسان صعبة العشرة شديدة المراس؟

ـــ أم أن سبب تركه لها أنها خرقاء لا تحسن شيئا، وليست يد الخرقـــاء كيد الصناع.

ـــ أهي قد مكنته من نفسها ففجر بها فقـــد كانـــا كـــثيري الـــدخول والخروج سويا؟

ومن ثم يكون هذا الرجل لا هو تزوج هذه البنت ولا هي سلمت مـــن القيـــل والقال ، كما أنها قد أضاعت فرصا كانت يمكن أن تسنح قبل وجود هذا الشخص أمام عينها وأمام الآخرين، فالمتقدمون حينما يسألون يعلمون أنها مخطوبة فلا يتقدمون لخطبتها

---

[١] قيل: على أهلها تجني براقش : كانت بَرَاقشُ كلبةً لقوم من العرب، فأغير عليهم، فهَرَبُوا ومعهم بَرَاقش، فاتبع القومُ آثارَهُم بنُبَاح بَرَقش، فهجموا عليهم فاصطلموهم.[مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٦٣٧]

حتى لا تكون خطبة فوق خطبة[١] وهو بعد تركها وهجره لها تكون في نظر الناس كشيء قد تذوقه الآخرون ، فلماذا آخذ فضلة من الآخرين ولا أخذ شيئا غضا طريا لم يتعرف عليه أحد.

١٢ ـ جواز سن الزواج والغفلة عن العنوسة:

أولا: جواز الفتى سن الزواج المتعارف عليها في المجتمع :

الزواج له سن محددة، وفترة معروفة في نظر المجتمعات، رغم أن الرجل يصلح له من بداية بلوغه إلى مرحلة متقدمة من عمره [٢] ولا تنتهي هذه الصلاحية إلا بموت الإنسان ولكنه لا شك أنه يضعف ضعفا بينا في كبره وتقدم عمره عن مرحلة شبابه.

والفتى الذي تتقدم به السن ولم يتزوج من قبل ـ كأن يتجاوز الأربعين من عمره ـ فإن الإقدام منه على الزواج سيكون صعبا عليه بعد هذه السن لأنه يكون قد كيّف نفسه على حياة محددة، وعلى طريقة معينة، وعلى حالة يرى أنه لا يستطيع أن يغيرها، فلا مجال عنده لواحدة تغير من طريقته وتحوِّل من نظامه فهو قد نظّم نفسه على أنه يستيقظ في ساعة معينة من الصباح فيؤدي صلاته ويعمل بعدها كذا ويليه كذا واضعا كل برامج اليوم في أطر ثابتة محددة لا تتغير عنده ولا تتبدل فيرى أن الزواج يغير من نظام نومه وتناول طعامه وشرابه وطريقة لباسه وأنه قد اعتاد على نظام لا يطيق معه

---

[١] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ فَلَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ. [صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب: تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك، حديث رقم ٢٥٣٦]

[٢] قال عاصم بن كليب: تزوج سويد بن غفلة بكرا وهو ابن مائة وست عشرة سنة.[سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٧٢]

نفسه إن حاد عنه لأي سبب من الأسباب فكيف سيطيق معه هذه القادمة أو على الأقل كيف سيسعدها وكيف سيتكيف معها وكيف ستتكيف معه فيعزف عن الزواج راضيا من الغنيمة بالإياب.[1]

ثانيا: الغفلة عن العنوسة عند الفتاة:

قد تنسى البنت في خضم معاركها الدراسية أنها قد وصلت إلى مرحلة النضج والاستعداد، فتظن أنها تستطيع أن تستغني برأيها عن آراء أهلها من والدين وإخوة وأعمام ونحوهم، ومن ثم تنسى نفسها وأنها قد وصلت إلى سن الزواج فهي تريد أن تواصل تعليمها وتكمل دراستها ، فأما أن تتزوج من المرحلة الابتدائية ـــ وقد يكون فيها عمرها أربع عشرة سنة ـــ فهذا ما لا تفكر فيه ولا يخطر لها على بال، فهي صغيرة بل طفلة غريرة فإذا جاء طالب ليدها في هذه المرحلة من عمرها فإنها ترفضه بلا أدنى تردد ويساعدها أهلها على ذلك ولا يثنونها عن رأيها بل قد يشجعونها على رفضها لها بحجة أنها صغيرة وقد يعيرون المتقدم لها كيف تتقدم لطفلة لم تبلغ سن الرشد بعد؟

أما في المرحلة الثانوية ـــ وقد تنتهي منها الفتاة وهي في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة سنة ـــ من سني دارستها فقد توافق على المتقدمين إليها أكثر من سابقتها، ولكن الرفض هو السمة الغالبة على الفتيات في هذه السن.

أما دخول الفتاة المرحلة الجامعية وإكمالها فعند بعضهن أنه حقها المشروع الذي لا يناقشها فيه أحد، ولا ينازعها فيه فرد، ولا يفتات عليها فيه زيد ولا عمرو، فلا أبوها

---

[1] قال امرؤ القيس :

وقد نَقَّبْتُ في الآفاقِ، حتى رَضِيتُ من السَّلامةِ بالإيابِ

أي ضَرَبْتُ في البلادِ، أَقْبَلْتُ وأَدْبَرْتُ. [لسان العرب، مادة: نقب]

ولا أخوها ولا عمها يحق له منعها، فترى أنها في زمن العلم والدراسة وفي عهد التكنولوجيا والإنترنت والحاسوب وانتهى عهد الحريم وولى غير مأسوف عليه.

وبعد مرحلة الجامعة التي قد تنتهي منها الفتاة وهي في الرابعة والعشرين من عمرها هذا إن لم تتعثر دارستها، ولم يعقها شيء ، وسارت دراستها على خطى مستقيمة ثابتة، وكانت البنت الجامعية سابقا تعتبر عانسا في معظم بلاد المسلمين لنظرهم إلى عمرها وما مضى منه، وما بقي منه، مقارنة بما تبقى من سنوات إخصابها وإن كان في بعض البلاد إلى الآن تعتبر من تكون من في مثل هذه السن عانسا، ومن ثم يقل خطابها، وهي لا تشعر بذلك وقد يكون في ذهنها أنها تريد أن تعمل بضعة أعوام لتكون نفسها ولتساعد أسرتها التي عانت كثيرا في سبيل تعليمها وصرفت دم قلبها من أموال، وقد يكون في ذهنها أنها تريد أن تواصل دراساتها العليا ــ فثمرة الدراسة الماجستير والدكتوراه ــ وترى أن بينها وبين الزواج مفاوز تنقطع دونها أعناق الإبل ولا تجتازها الخيل المضمرة.

وتمتد هذه السنون ولا تشعر الفتاة أنها في مرحلة الخطر الحقيقي فهي قد اقتربت من العقد الثالث، هذا إذا عملت بعد تخرجها لمدة خمس سنوات. وبعد ذلك تلتفت إلى نفسها فتجد أنها في زمن العنوسة الذي تتكلم عنه أجهزة الإعلام،[1] والتي كانت تظن أنها ضرب من ضروب الخيال أو أنها قصص من كوكب آخر وفي بعض قصص العنوسة المؤلمة كانت صاحبة الفاجعة لم تحس بها لانصرافها عنها بأمور أخرى كالدراسة الجامعية وما فوقها وعندما الالتفات إلى نفسها تتبين لها أن هذا الالتفات قد جاء متأخرا جدا لأن الليل والنهار عملا عملهما في الجسم والأيام والشهور والسنوات تتابعت، وقد عملت

---

[1] قالت إحدى العوانس التي غفلت عن عنوستها : أيقنت أنني دخلت في زمن العنوسة التي تتحدث عنه وسائل الإعلام من حين لآخر. [انظر ص من هذا الكتاب]

في وجهها الجميل فظهر تخديد وتجعيد طغى على الكريمات والأصباغ وابيضت شعيرات نصل خضابها وتكون قد صارت بمنزلة العجوز المتصابية.

وتجد هذه الفتاة أن بعض لداتها وأترابها اللاتي كانت تسخر منهن لأنهن تزوجن وتركن الدراسة أن أطفالهن قد صاروا رجالا وأن بناتهن قد صرن في سن الزواج وكانت سخريتها منهن تحت نشوة الدراسة وسكرة التفوق والظفر بالشهادة ونيلها لظنها أن كل السعادة في شهادتها هذه، كما تجد هذه الفتاة أن بعضا من لداتها اللاتي تزوجن بعد المرحلة الثانوية ينعمن الآن مع أزواجهن ويداعبن أطفالهن، وهي الآن تقرأ في شهاداتها، التي أنستها نفسها حتى فاتها الركب، هذا إن اجتهدت وتحصلت عليها.

ومن ثم يتحول انصراف هذه الفتاة عن الزواج وانشغالها عن الزواج إلى انشغال دائم به وإدمان فكر وعض أنامل من الغيظ على سنوات قضتها في الدراسة وفرطت فيها فذهبت زهرة شبابها وتندم على خطاب قد ردتهم وعلى آخرين قد جبهتهم. وتكون نهبا للهواجس والأفكار السيئة والتساؤلات:

هل ستتزوج بعد بلوغها هذه السن؟ أو سيكون مصيرها كفلانة التي هي أجمل وأصغر وشهاداتها أعلى منها فلم تتزوج وتحسب وتعدد من تعرف من النساء اللاتي لم يتزوجن.

فيا أيتها الفتاة لا تنسي في خضم دراستك نفسك فعدم إدراكك أنك في طور العنوسة يجعلك تلتفتين إلى نفسك فتجدينها قد حيل بينك وبين ما تشتهين كما فعل بكثير من نظيراتك.

١٣ـ العقم:

إذا عُلم عقم الرجل والمرأة فإن ذلك يكون من أعظم أسباب عنوستهما، فالعقم من أعظم أسباب عنوسة الفتيات لمجيء النهي في السنة المشرفة عن نكاح المرأة العقيم،

كما أنها من أكبر أسباب عدم ظفر الشاب بفتاة ينعم بها، كما أن الرجل إذا غرر بالمرأة وكان عالما بعقمه فهي بالخيار إن شاءت فسخت العقد وإن شاءت بقت معه.

وإن تزوج الرجل العقيم من المرأة غير العقيم أو المرأة العقيم من الرجل غير العقيم فإن الحياة بينهما تكون حافلة بالمشاكل والخلافات.

ولا نريد أن نعيد ما قلناه عن النهي عن تزوج المرأة العقيم وتزويج الرجل العقيم وأن من أسباب ذلك نشوء الخلافات بينهما فلتراجع في موضعها.[1]

---

[1] انظر: الخلافات بين الزوجين: العقم وتأخر وتأخير الإنجاب.